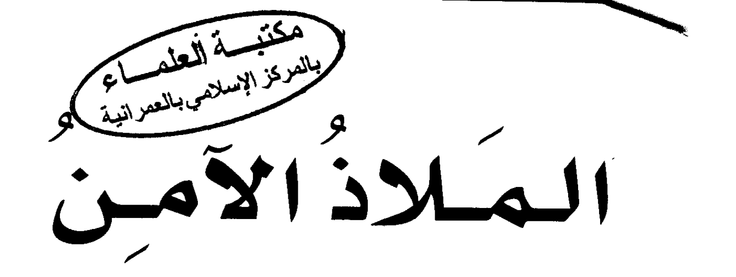


الملاذ الآمن

للدكتور
محمد محمد داود

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار المنار للنشر والتوزيع
٩ ش حسن العدوى - الحُسين
ص. ب ٦١ هليوبولس
تلفون وفاكس : ٥٩١٥٠٨٥



المَلاذُ الآمِنُ



الملاذ الآمن

الخوف .. القلق .. الاضطراب .. اليأس .. أمراض العصر، بل هُوِيَّة هذا العصر والعناوين البارزة لحضارته المادية .

- لماذا سيطرت الهواجس والمخاوف على إنسان هذا العصر البائس؟!

- لماذا احتشدت عليه كل ألوان المعاناة والتعب والبؤس والأمراض النفسية والجسدية؟!

- أين الملاذ الآمن؟!

- أيمكن أن يكون ذلك الملاذ الآمن فى امتلاك أسباب القوة؟!

لكن هاهم أولاء يملكون كل أسباب القوة المادية:

* الثراء والرفاهية، من سيارات فارهة وثياب فاخرة ومساكن فخمة مكيفة الهواء، وأجهزة توفِّر الجهد ولا تكلفك أكثر من لمسة بطرف الأصبع كى تنهى المطلوب منها .

لكنهم خائفون حائرون قلقون!!

* القوة العسكرية: ترسانات السلاح مكدَّسة فى كل مكان .. أسلحة فتَّاكة يمكنها أن تدمر هذا الكوكب عدة مرات، وكأن تدميره مرة واحدة لا يكفى!!

لكنهم خائفون حائرون قلقون!!

* الفتوحات العلمية: يزعمون أنهم سيطروا على الطبيعة وأخضعوها لخدمة الإنسان ..

لكنهم لا يستطيعون الصمود أمام نبضة من نبضات الأرض على هيئة فيضان جارف أو زلزال مدمِّر أو بركان مُحرِق .. تتداعى المبانى الضخمة كأنها من زجاج، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ العنكبوت/ ٤١ .

ولقد هبط الإنسان فوق القمر، وأرسل مركباته إلى أقاصى أطراف المجموعة الشمسية، وبثَّ رسائله إلى المجرات الأخرى؛ لعله يجد فى هذه العوالم البعيدة من يؤنس وحشته ويبدِّد مخاوفه، وما من مجيب!!

* وسائل الاتصالات: شبكة عنكبوتية حوَّلت العالم

إلى قرية صغيرة، تستطيع أن تلتقى بمن شئت وتتحدث معه من أحد طرفى المعمورة إلى الطرف الآخر وكأنكما على مقعدين متجاورين .. شاشات التليفزيون والفضائيات تنقل الأحداث فى لمح البصر .. والصحف والمواقع الإلكترونية تتنافس لنقل صورة حية للأحداث .. دور السينما والمسارح والنوادى والشواطىء والقرى السياحية والمنتجعات ..

لكن المسافات بين القلوب تزداد بعدًا، والوحشة تشتد، ومعها الخوف والقلق والاضطراب .. إنهم حائرون خائفون قلقون!

* أين الملاذ الآمن؟!

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ التوبة/ ٥٧ .

﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ التوبة/ ١١٨ .

لقد تباعدت المسافة بين الخَلْق والخالق، وخسر الإنسان الطمأنينة والسكينة وحلَّت محلَّها الهواجس والرِّيَب والمخاوف .

إنهم حائرون تائهون مغتربون عن أنفسهم التى نسوها حينما نسوا خالقهم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ الحشر/١٩ .

وسيظل الإنسان غريبًا خائفًا حائرًا قلقًا ما دام بينه وبين الله حجاب . . لقد اختار الإنسان أن يسلك بعكس نواميس الكون، فالكون كله يُسبِّح لله، فى تواصل دائم وطاعة للخالق وارتباط لا ينفك: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ الإسراء/ ٤٤ .

لكن الإنسان وحده من بين كل المخلوقات اختار لنفسه أن يبتعد عن خالقه، فكانت النتيجة حرمانه سبل الهداية وتخبطه فى ظلمات الحيرة والضلال، قال الله تعالى عقب الآية المذكورة: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ الإسراء/ ٤٥،٤٦ .

إنهم حائرون خائفون قلقون؛ لأنهم لا يريدون الله وحده، يريدون أربابًا آخرين، أوثانًا جديدة أحلوها محلَّ

الأحجار التى كان يعبدها أهل الجاهلية ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ الزمر/ ٣ . ويظنون أنهم بذلك يحصلون على رضا الله ورحمته .. كيف وقد أشركوا بالله آلهة إفكًا اختلقوها؟! آلهة اللذة العاجلة، الكاذبة، فضاعت أمانيهم وتلاشت أوهامهم؛ لأن اللذات العاجلة والشهوات الموقوتة لم يجعلها الله أساسًا للحياة، وضرب لها مثلاً بالزبد الذى يعلو فوق سطح الماء، فقال عزَّ من قائل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الرعد/ ١٧ .

هذا هو المقياس الصحيح للنفع والقيمة: الأشياء تكتسب قيمتها بمكوثها فى الأرض واستمرار منافعها، أمَّا النزوات العابرة فهى بمثابة الزَّبد الذى لا يفيد ولا يمكث فى الأرض .. إنه سراب عابرٌ نسميه السعادة والمتعة .. لكنها سعادة مزيَّفة ومتعة ناقصة تعقبها آلام ومعاناة؛ لأنها لا ترتبط بمصدر الجمال والكمال، وفقدت صلتها بأصل الحياة: الحى القيوم، فضَلَّت وضاعت معها آمال الإنسان وإحساسه بالسكينة والطمأنينة التى لا تكون إلا فى مَعِيَّة الله

عز وجل، واليقين بأن هناك إلهًا واحدًا مهيمنًا على الكون، هو الذى تطمئن بذكره القلوب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ الرعد/ ٢٨ .

لأنها تعلم وتوقن بأنها فى رعاية الله ، مصدر الحفظ والأمن، هو المؤمن الذى يبعث الأمن فى النفوس، وهو القاهر فوق عباده، فلا تخضع الأعناق لطغيان الطغاة والمتجبِّرين، بل تخضع وتخشع للرحمن الذى كتب على نفسه الرحمة تفضُّلاً ومنَّةً على عباده .

فإذا غاب الأمل وأطبقت ظلمات اليأس والخوف والقلق، فلا ملاذ سواه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الإسراء/ ٦٧ .

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ الأنعام/ ٤١،٤٠ .

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾؟!

* أين الملاذ الآمن؟!

ليس ثمة وجهة إلَّا إلى الله:

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ الذاريات/ ٥٠ .

لقد جرَّب الإنسانُ كلَّ السُّبُلِ فلم تُغْنِهِ عن الله شيئًا، لا الثروة ولا السلطة ولا أسباب القوة المادية ووسائل الرفاهية والراحة . . إنها الراحة التى تورث تعبًا، واللذة التى تعقب ندمًا، والمزيد من المعاناة والآلام والخوف والحيرة والقلق . . ﴿لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ التوبة/ ١١٨ .

ما من ملاذ آمنٍ إلا عند الله المؤمِن، وما من مفرٍّ إلا إلى واحة الإيمان والأمن، فى رحاب الله المهيمن على كل شىء، الحافظ، المقيت، المحيى المميت، الحى القيوم . .

لقد رسم لنا الله عز وجل طريق النجاة من كل أسباب القلق والخوف والاضطراب والمعاناة، جاء فى الأثر: "من خاف اللَّه أمَّنَهُ من كل شىء، ومن خاف غيرَ الله أخافه الله من كل شىء" .

وقال الله عز وجل :﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ

بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ الطلاق/ ٢-٣ فلا يقلق على الرزق، ولا يخاف الفقر ولا الشقاء؛ لأنه فى معيَّة الغنى المُغْنِى، ولا يخاف طغيان الطغاة، كما قال الله - عز وجل - للنبيَّيْنِ الكريمين موسى وهارون - عليهما السلام - وهما ذاهبان إلى طاغية الطُّغاة فرعون:

﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ طه/ ٤٦ .

أين الملاذ الآمن؟!

الإيمان بالله هو الحلقة المفقودة، والله عز وجل هو الملاذ الآمن الذى يبحث عنه الإنسان، وحينما يعود الإنسان إلى ذلك الملاذ الآمن سوف تختفى معاناته وتذوب حسراته، ويحل محلَّها الطمأنينة والثقة بوعد الله لعباده المؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ النور/ ٥٥ .

فالخوف والأمْن جنود مجنَّدة لله عز وجل، فالأمْن لمن آمن ولم يظلم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ

لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام/ ٨٢ .

أما الذين ظلموا و ضلُّوا عن سبيل الله فلهم الخوف والقلق والحيرة؛ لأنَّهم نسُوا الله وانساقوا وراء شياطين الإجرام والظلم والترف: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ هود/ ١١٦ .

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ الأعراف/ ٥١ .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ النحل/ ٦١ . ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ هود: ١٠٢ .

- أما آن لنا أن نعود إلى الله كى تستشعر نفوسنا الأمان؟

- أما آن لنا أن نتدبر آيات الله وننصت إلى كلماته كى تنفذ إلى قلوبنا فتبعثها من جديد وتوجِّهها إلى الطريق الذى لا يُعْقِب حسرةً ولا يورث ندمًا.؟!

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ الحديد/ ١٦ .

بلى . . إنه نداء الحق: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ فإن الإيمان نورُ الله، والمؤمن يرى بنور الله كما أخبر سيدنا رسول الله ﷺ. وقال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأنعام/ ١٢٢ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ الحديد/ ٢٨ .

وإذا كان الإنسان يرى بنور الله فكيف تحاصره جيوش الظلام؟! وإذا كان الإنسان فى كنف الله وفى حفظ الله فكيف يخاف، وأنَّى يأتيه القلق والاضطراب؟!

لقد أوحى الله إلى أم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ القصص/ ٧ .

فكيف تلقى أمٌّ رضيعها فى البحر ولا تخاف؟! ثم أوحى إلى موسى أن يعبر بقومه البحر حين طاردهم فرعون بجنوده يريد أن يقضى عليهم: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ طه/ ٧٧ .

هذا البحر الهائج المضطرب يصبح بأمر الله مصدرًا للأمن ووسيلة للنجاة من الخوف .. والبحر نفسه .. والمياه ذاتها التى جعلها الله سببًا فى نجاة موسى وقومه هى نفسها التى جعلها الله سبب هلاك لفرعون وجنوده؛ ليوقن الإنسان أن سر النجاة فى أن يلوذ بالله؛ ففى معية الله وحده يكون الأمن .. والله وحده هو الملاذ الآمن، للنجاة من كل الشرور والخلاص من القلق والخوف والاضطراب .

ففروا إلى الله!

بُشْرَيات لمن لاذ بالله تعالى واستجاب لهديه

تبارك الله القائل فى محكم آياته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال/ ٢٤ .

الاستجابة لهدى الله ورسالاته حياة للإنسان، وبعث جديد له، تنقله من عالم الغفلة والعبث والعدم إلى عالم الأمن والسكينة والطمأنينة والنور . . إلى الحياة .

لقد كانت وصية الله عز وجل لأول أسرة نزلت على الأرض (آدم وحواء عليهما السلام) أن حدَّد لهم سبيل النجاة والملاذ الآمن لهم قال تعالى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة/٣٨ . وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ طه/ ١٢٣ .

والاستجابة لهدى الله والفرار إليه تؤتى ثمارها فى الدنيا والآخرة، والسعيد الموفق من سعى فى التماس هذه البشريات والبركات التى تفضَّل الله بها على من لاذ به .

فأمَّا فى الدنيا فمن هذه البشريات:

* **البشرى الأولى**: أن يذكره الله سبحانه وتعالى ويثنى عليه، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ **البقرة/ ١٥٢** .

وفى الحديث القدسى:

قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾، قال الله تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، قال: مَّجدنى عبدى، وقال مرة: فوّض إلىّ عبدى، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ ، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» .

[مسلم/ ٥٩٨]

ويقول النبى ﷺ فيما يروى عن ربِّ العزة: "أنا عند حسن ظن عبدى بى، فإن ذكرنى فى ملأٍ ذكرته فى ملأٍ خير منه" . [البخارى،ك: التوحيد/ ٦٨٥٦]

وَأَنْعِم بهذه البشرى . . فأنْ يذكر الإنسان رَبَّه فهذا شَرْعٌ وَفَرضٌ، أما أَنْ يذكر الله عَبْدَه فهذا فضل ما بعده فضل . .

* **البشرى الثانية**: أن يشكره الله جل جلاله ويعظمه، قال عزَّ من قائل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء/ ١٤٧ . **شاكرًا لعباده ما مَكَّنهم من أدائه وما تفضَّل عليهم به من طاعته، فسبحانه وما أعظمه من إله يعطى عباده ثم يشكرهم على عطائه!! . يقول الله عز وجل**: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ **الشورى/ ٢٣** ثم يقول الله يوم القيامة لعباده المؤمنين: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾**الإنسان/ ٢٢** .

* **البشرى الثالثة**: أن يحبه الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾آل عمران/ ٣١ .

ولمزيد من فضله وواسع رحمته وفيض عطائه زاد على هذا فقال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وقال عز وجل فى شأن المحسنين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة/ ١٩٥ .

وقال فى التَّوابين والمتطهرين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة/ ٢٢٢ .

وقال فى عباده المتقين: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ آل عمران/ ٧٦ .

وقال فى الصابرين: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ آل عمران/ ١٤٦ .

وقال فى المتوكلين عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران/ ١٥٩ .

وقال فى المقسطين ﴾أى العادلين﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة/ ٤٢ .

وقدَّم سبحانه وتعالى حُبَّه لعباده على حب عباده له، فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المائدة/ ٥٤ .

* **البشرى الرابعة**: أن يكون الله له وكيلاً يدبِّر شئونه، ويكون الله لرزقه كفيلاً ضامنًا له، يوجهه من حال إلى حال وَيُصَرِّف أموره من غير كدٍّ ولا تعب، قال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء/ ٨١ .

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ الطلاق: ٢-٣ .

وقال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ آل عمران/ ١٧٣ .

* **البشرى الخامسة**: أن يكون الله له نصيرًا يكفيه كل عدو ويرد عنه كل كيد أو عدوان، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ **محمد/ ٧** .

وجمع بين رسله الذين اصطفاهم وبين المؤمنين فى سياق واحد، فقال عز وجل : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ غافر/ ٥١ .

ومن ينصره الله فلا يخذل، ولا يقدر على إيذائه مخلوق، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن

يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ آل عمران/ ١٦٠ .

وأكدت آيات القرآن الكريم أن الله ينصر عباده المؤمنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ الحج/ ٤٠، بل جعل الله عز وجل نصر المؤمنين حقًّا لهم على ربهم، فقال تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم/ ٤٧ .

* **البشرى السادسة:** الولاية، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ **البقرة/ ٢٥٧ .**

وقال عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الحج/ ٧٨ .

وفي الحديث القدسي:

"مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ

الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" .

[البخارى، ك: الرقائق/ ٦٠٢١]

* **البشرى السابعة**: أن يكون الله له أنيسًا فلا يُحِسُّ بوحشةٍ ولا غُرْبةٍ، وذلك أنه كلما طاف به طائف أو أصابه قلق أو خوفٌ ذكر الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ **الرعد/ ٢٨** .

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ الفتح/ ٤ .

* **البشرى الثامنة**: عزة النفس، فلا يلحق بعباد الله المؤمنين ذلٌّ ولا يصيبهم هوان، فكيف وقد جعل الله لعباده المؤمنين نصيبًا من عزته جلَّ جلاله فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون/ ٨ .

فالله يرفع أقدار عباده المؤمنين عن أن يصيبهم دنس الدنيا ولهوها وزخرفها، ويجعلهم فوق الذين كفروا، قال

الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ المجادلة/ ١١ .

وقال عز وجل: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ آل عمران/ ٥٥ .

* **البشرى التاسعة**: غنى القلب، فالمؤمن يشعر فى نفسه بالغنى وإن كان فقيرًا بموازين أهل الدنيا؛ وكيف يشعر بالفقر من كان فى حمى الغنى الكريم؟!

قال الله تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ التوبة/ ٢٨.

وقال عز وجل فى الصالحين من الإماء والعبيد:

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ النور/ ٢٣ .

* **البشرى العاشرة**: نور القلب، يضىء به الله بصيرة المؤمن، وهو من نور الله عز وجل ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ الحديد/ ٢٨ .

* **البشرى الحادية عشرة**: شرح الصدر، قال تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الأنعام/ ١٢٥ .

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ الزمر/ ٢٢ .

* **البشرى الثانية عشرة:** المحبة فى القلوب؛ لأن الله عز وجل أحبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مريم/ ٩٦ .

وقال ﷺ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ" . [البخارى:ك بدء الخلق/ ٢٩٧٠]

* **البشرى الثالثة عشرة:** عموم البركة فى كل شىء، فى نفسه وعملِهِ وفى وقته وصحته وقُوتِهِ وحياته كلها، وصدق الله القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الأعراف/ ٩٦ .

* **البشرى الرابعة عشرة:** تسخير الأرض وما فيها لعباد

الله المؤمنين،كما أوتي داود عليه السلام: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ الأنبياء/ ٧٩ . وألان له الحديد: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ سبأ / ١٠ .

وكما سخر الإنس والجن والحيوان والطير لسليمان عليه السلام، قال الله تعالى :

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ / ١٢-١٣ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِنْ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : فُلانٌ لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ

يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ و حَدَّثَنَاه أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ بِهَذَا الإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ .

[مسلم، ك: الزهد والرقائق/ ٥٢٩٩]

* **البشرى الخامسة عشرة:** إجابة الدعوة من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ البقرة/ ١٨٦ .

والمؤمن مستجاب الدعاء وإن بدا فى ظاهره هينًا رثَّ الهيئة، قال رسول الله ﷺ : "رُبَّ أشعثَ أغْبَرَ لو أقسم على الله لأبَرَّه" . [أخرجه مسلم، ك: البر والصلة] .

أى: رُبَّ إنسانٍ رثِّ الهيئة لا يراه الناس عظيم الشأن

فى الظاهر، ولكنه فى باطنه يملك قوةً عظيمة وكنوزًا لا حدَّ لها، حتى إنه إذا أقسم على الله- أى خاطب ربه قائلاً: وعِزَّتِك لتفعلنَّ كذا- لأَبَرَّه، أى صدَّق قسمه واستجاب لما دعا به .

وقد روى لنا القرآن قصصًا فى عباد الله المؤمنين الذين استجاب الله دعاءهم، من ذلك ما جاء فى أيوب عليه السلام، وكيف كشف الله عنه الضُّرَّ لما دعاه منيبًا إليه . وما كان من أمر نوح عليه السلام حين دعا الله قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ نوح/ ٢٦، فأجاب الله دعوته وأغرق الأرض بالطوفان، وأهلك جميع الكافرين فلم يَنْجُ إلا نوح ومن آمن معه .

أما عن سيد الأنبياء محمد ﷺ فدعواته مشهورة ومعروفة، ومن ذلك دعاؤه على قبيلتى رعل وذكْوان، ورجال سمَّاهم بأسمائهم، فهلكوا جميعًا بإجابة الله دعوة نبيه ﷺ ومن ذلك ما رواه البخارى ومسلم من دعائه ﷺ بنزول المطر، فجعل المطر يسقط بغزارة قبل أن ينتهى النبى ﷺ من دعائه، حتى عاد إليه الناس وسألوه أن يدعو الله كى

يكف سقوط المطر، فرفع يديه ودعا ربَّه قائلاً: "اللهم حَوَالَيْنا لا علينا" فجعل المطر يتساقط حول أطراف المدينة ولا يصيب سكانها بأذى أو يهدم بيوتهم .

[البخارى، ك: الجمعة/ ٨٨١ . ومسلم، ك: الاستقامة/ ١٤٩٣] .

وغير ذلك من دعواته المباركة ﷺ .

* **البشرى السادسة عشرة**: الأمان للذرية، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ النساء/ ٩ .

* **البشرى السابعة عشرة**: الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ النحل/ ٩٧ .

* **الثامنة عشر**: نعمة الأمن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام/ ٨٢ .

* **وأما البشريات التى فى الآخرة فكثيرة:**

أولها: أن يهون الله عليه سكرات الموت، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ النحل/ ٣٢ .

* **الثانية**: التثبيت بالقول الثابت الذى تكون به النجاة، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ إبراهيم/ ٢٧ .

* **الثالثة**: البشرى بالأمان يوم القيامة، والفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **فصلت/ ٣٠ . وقال تعالى**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ السجدة/ ١٧ .

* **الرابعة**: بياض الوجه ونوره يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ **القيامة: ٢٢-٢٣ . وقال تعالى**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ عبس: ٣٨-٣٩ .

* **الخامسة**: الأمن من أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فصلت/ ٤٠ .

* **السادسة**: أخذ الكتاب باليمين وتيسير الحساب،

وثقل الميزان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ الحاقة/ ١٩ .

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ الانشقاق/ ٨ .

* **السابعة:** رفقة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامهم عليهم، والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ النساء/ ١٣ .

هدى الإسلام يحقق الأمن

الأمن من أهم القضايا التى شغلت دول العالم بأسره، وقامت من أجله هيئات ومنظمات متعددة، وكلها تنشد تحقيق الأمن فى المجتمع الدولى .

وفى كل دولة متحضرة أجهزة أمنية غاية فى التطور والتقدم، ولقد جاء العلم الحديث بصنوف شتى من الأجهزة الحديثة، لكن نظرة واحدة إلى نسبة الجريمة فى دول العالم، تجد أن النسبة عالية وفى تزايد!!

فشلت الأسلحة فى تحقيق الأمن، فالأمن الحقيقى لا يُفرض بسلطة، وإنما ينبع من أفراد المجتمع من دخائلهم، من ضمائرهم، من أسلوب معاملاتهم .

وتأمل معى مثالاً بسيطًا: لو رأيت رجلاً يحرسه جنود كثيرون؛ من أمامه ومن خلفه وعند بيته وفى عمله، أترى هذا الإنسان آمنًا؟! إنه لا يستطيع أن يتحرك دون أن يخبر حراسه .. وماذا لو ناموا أو غفلوا؟! .. وماذا لو خانوا؟ .. وماذا لو ضعفوا ..؟! وما شعوره حين يسقط شيء فى غرفة مجاورة له .. أو ينفجر إطار سيارة أمام

مكتبه . . ؟! رجفة من الخوف تزلزل قلبه .

بيد أن الإسلام له نظرته المتميزة لقضية الأمن، فالإسلام لا يعرف هذه الصورة السطحية لمعنى الأمن، لكنه يغرس الأمن فى ضمائر الناس ويعمق الأمن فى قلوبهم ولا ينال أحد من الخلق الأمن إلا بسببين هما :

١ - الإيمان بالله تعالى .

٢ - العمل الصالح .

٣ - يقول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام/ ٨٢ .

وقال تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ النور/ ٥٥ .

وجاء فى السنة من وصايا النبى ﷺ قوله : "احفظ الله يحفظك" [الترمذى، ك : صفة القيامة/ ٢٤٤٠] .

ولفظ الحفظ فى الحديث يشمل الأمن والعناية من الله تعالى، ودل على هذا العموم حذف المتعلق فى يحفظك، فلم يحدد: هل يحفظك فى مالك؟ هل يحفظك فى أهلك؟ هل يحفظك فى دينك؟ .. إلخ، حتى ينصرف الحفظ إلى كل ما يمكن أن يحفظ، فأفاد العموم .

ودلالة الأمن فى الإسلام لا تقتصر على دفع المخاطر والمخاوف عن الإنسان فحسب، بل تتعداها لتشمل الحياة الطيبة، وهذا ما وعد الله به أهل الإيمان والعمل الصالح .

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل/ ٩٧ .

وحديث الثلاثة الذين انحدرت عليهم الصخرة من أعلى الجبل يظهر ثمرة العمل الصالح - بعد الإيمان بالله تعالى - فى تحقيق الأمن .

ترى فى موقف كهذا عزَّ عليهم الاتصال بأى بشر .. وغابت كل قوى البشر عنهم، وهم عُزَّل من كل محاولة

يستطيعون بها الفوز بالأمن والنجاة من هذا الخطر الذى فاجأهم، وكان التوسل بالعمل الصالح إلى من آمنوا به ربًا قادرًا خالقًا .. لا يغلبه شىء وهو قادر على كل شىء هو السبيل لنجاتهم .

وهذا لون من الأمن، أو قل من التأمين على الحياة لا تعرفه الحياة المادية .

والأمن كثمرة للإيمان والعمل الصالح يمتد إلى ما بعد حياة الإنسان؛ إلى ذريته من بعده،قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ النساء/ ٩ .

وهكذا جعل الله الإيمان والتقوى سبيلاً يحقق للذرية الأمن من حوادث الأيام وتقلبات الزمن .

يؤكد هذا المعنى ما جاء فى القرآن الكريم من قصة اليتيمين ذوى المال الذى تركه لهما أبوهما تحت الجدار القديم الذى أوشك أن يتهدم، فيضيع المال على اليتيمين ولا ينتفعان به، فأرسل الله عبدًا تقيًا ملهمًا فأصلح الجدار بأمر من الله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا

أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾الكهف/ ٧٧ .

وقد وضح العبد الصالح (الخضر) لنبى الله موسى عليه السلام سبب إصلاح الجدار الذى تحت الكنز يقول الله تعالى الكهف/ ٨٢ .

وإنها للفتة كريمة عظيمة تلك التى ينبه عليها الإسلام، وهى أن جانبًا من تحقيق الأمن للأموال خشية الضياع والهلاك، إنما يكون بطاعة الله بأداء ما افترض الله فيها من زكاة؛ يقول النبى ﷺ: "داووا مرضاكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة" . [السنن الكبرى للبيهقى/ ٣٨٢:٣]

وقوله عليه الصلاة والسلام: "الزكاة قنطرة الإسلام، وما هلك مال فى بر أو بحر إلا بسبب حبس الزكاة" .

[مجمع الزوائد للهيثمى/ ٦٢:٣] .

وحسبنا فى هذا المعنى ما ذكره القرآن فى شأن أصحاب الجنة الذين أقسموا أن يمنعوا الفقراء من حقهم فعاقبهم الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ
أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾
عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ
وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ القلم: ١٧-٣٠ .

* كيف يُحقِّق هدى الإسلام نعمة الأمن؟

كل إرشادات الإسلام وهداياته تحقق الأمن للفرد والمجتمع، فالإسلام كما يأمرك أن لا تتعرض بسوء لأموال الناس وأعراضهم ودمائهم، وأن تحافظ عليها؛ فإنه يأمر كل الناس فى مجتمع المؤمنين أن يحافظوا على أموالك وعرضك ودمك .

قال النبى ﷺ :

"إن المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"

[ابن ماجة: ك الفتن/ ٣٩٢٤] .

وقال ﷺ: "خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره" .

[الترمذى: ك الفتن/ ٢١٨٩] .

وقال ﷺ فى حجة الوداع:

"أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . . ألا هل بلغت اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" . [البخارى، ك: الحج/١٦٢٣] .

ومن هدى الإسلام أنه جعل البيع والشراء بعيدًا عن المخادعة والزيف والتضليل، والكذب، الذى يحدث من كثير من الناس ليروجوا بضاعتهم؛ يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ النساء/ ٢٩ .

ومن هدى الإسلام حين حرصه على حفظ الأمانات وصيانة الحقوق؛ خوفًا من الخيانة والغدر؛ يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة/ ١ .

وحذر الإسلام من ترويج الشائعات ونشرها؛ حتى نحفظ على الناس أمنهم، ولا نلحق بهم من التُّهم ما يؤذيهم؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦﴾ الحجرات/ ٦ .

ولا شك أن مجتمع المسلمين يتأذى من إدانة متهم بريء أكثر مما يتأذى من إفلات مجرم من عقاب .

وقد أوصى النبى ﷺ بأن ندرأ الحدود عن المسلمين ما لم تتوفر الأدلة الصحيحة القاطعة لإثبات التهمة، قال النبى ﷺ : "ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فَخَلُّوا سبيله؛ فإن الإمام إن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة"

[الترمذى: ك الحدود/ ١٣٤٤] .

ويحرِّم الإسلام تتبع عورات المسلمين وعيوبهم؛ فيقول النبى ﷺ: "إنك إن اتبعت عوارات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم" .

[أبو داود، ك: الأدب/ ٤٢٤٤]

بل إن الأمن ليصل إلى أن يكون الإنسان آمنًا من الظنون السيئة من أهل مجتمعه . . فالظن السيء بأهل الإيمان محرم .

وعلى سبيل الإجمال، يمكن أن نرى هذا الجانب الأمنى الذى يختص بالأخلاق فى قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات/ ١٢،١١ .

والناظر إلى أبواب المعاملات فى الفقه الإسلامي، يظهر له أنها تتكامل فى تحقيق الأمن للمتعاملين بهذه التعاليم؛ فهناك النهى عن البيوع التى تضر بالعقل مثل: بيع الخمر، الحشيش، الأفيون . . وسائر المخدرات والمسكرات، وفى هذا تأمين على حاسة العقل وأمن له .

وهناك النهى عن الغش أو الغرر أو النجش فى البيع، وغير

ذلك من نظم الإسلام التى وضعها لضبط مسائل المعاملات بين الناس ولها مباحثها فى كتب الفقه الإسلامي .

وما هذه الأمثلة إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر .

وهكذا ترى أن الأمن فى الإسلام يتحقق عن طريق الإيمان والعمل الصالح؛ فالإيمان والطاعة يحققان أولاً أمن النفس البشرية من وساوس الشيطان وهواجس الشر، ويحققان الأمن الأخلاقى للمجتمع كله ساعة أن يعيش هذا المجتمع هدايات الإسلام فى واقعه؛ فالأعراض تصان والكرامة تحفظ .

والإيمان والطاعة يحققان الأمن لأموال المؤمنين ولسائر المعاملات بينهم، بل ويحققان الأمن الاجتماعى بين أهل الإيمان فمجتمع المسلمين لا يضيع به مسلم ولا يهدر له حق .

هذا ما يغرسه الإسلام فى نفوس أتباعه من أخلاقيات حميدة وسلوكيات فاضلة يكون من ثمرة العمل بها نعمة الأمن .

لكن لا يسلم المجتمع من أشقياء ينحرفون عن صراط الله المستقيم، ومثل هؤلاء يمكن أن يحدثوا اضطرابات لها خطرها فى إفساد أمن المجتمع . والإسلام لم يغفل هذه الناحية؛ فنراه قد وضع للحدود (الزنا- الخمر- السرقة- الحرابة- الردة- البغى) عقوبات محددة، وهناك القصاص وتوابعه .

وهناك العقوبات، والعقوبات بأنواعها المختلفة من أهم مقاصدها منع الجريمة وتوفير الطمأنينة والأمن للمجتمع وحمايته من طغيان الأشقياء، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ البقرة/ ١٧٩ .

ففى موت شقى واحد حياة وأمن للجماعة .

والعقوبات ليست دنيوية فقط، فقد يستطيع بعض المجرمين الهروب من عقوبة الدنيا، أو أن يكون المجرم ألحن بحجته من خصمه- صاحب الحق- فيفلت من إثبات التهمة عليه، ولو لم يكن هناك جزاء أخروى لكان رد الفعل عند المظلوم أدعى لإثارة القلق والاضطراب، مما يؤثر

على أمن المجتمع، لكن يقينه بأن حقه إن ضاع فى الدنيا فهو محفوظ عند الله تعالى يبعث فى نفسه شيئًا من الهدوء والرضا بما عند الله من عوض .

ولأن حياة المؤمن ممتدة إلى ما بعد الدنيا إلى دار الخلود؛ فإن الأمن يمتد معها إلى دار الخلود ..حيث الأمن المطلق .

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ الدخان/ ٥١ .

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الحجر/ ٤٦ .

لوذوا بالله .. يا أهل البلاء

من سنن الله الجارية فى الأفراد والجماعات والأمم: سنة الابتلاء، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾ العنكبوت/ ٢-٣ .

والمتأمل لآيات الذكر الحكيم عن هذه السنة الإلهية: سنة الابتلاء والمحنة والفتنة، يجد أن هناك أمورًا ثلاثة ارتبطت ببعضها فى محيط الفتنة والابتلاء:

الأول: أمر الفتنة والابتلاء .

الثانى: الصبر على الابتلاء .

الثالث: البشارة والفرج .

وحين نتدبر الآيات القرآنية نجد أن هذه الثلاثة كلها من الله عز وجل . فالابتلاء من الله الحكيم، والصبر هبة من الله، ولا يفلح العبد فى الصبر على البلاء إلا بتوفيق الله وعونه وتأييده، لقوله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ النحل/ ١٢٧ .

والبشارة إنما هى فضل ونعمة من الله . فماذا بقى للعبد؟!

وهذا يؤدى بالعبد - إذا فقه هذه الحقيقة الإيمانية- إلى التسليم والرضا .

ومن الحقائق التى تتعلق بهذه الأمور أن البشارة لا تأتى إلا إذا امتثل العبد أمر ربه وأيقن أن الأمر كله لله، وأن الخلق كله لله، وأن الله يفعل ما يشاء، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

كيف لا؟! وربنا قد بيَّن ذلك فى قرآنه قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة/ ١٥٥-١٥٧ .

وإذا ما انتبهنا إلى أن اللام فى «لله» للملكية، بمعنى أننا ملك لله، فالعبد وما ملكت يداه ملك لسيده ومولاه، وللمالك أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء .

من هنا ندرك أن الابتلاءات فى الأفراد والجماعات والأمم لا تُرفَع إلا بالامتثال لأمر الله، والصبر على المكاره، وعدم السخط على قدر الله .

* ومن حقائق الابتلاء فى القرآن الكريم أن الابتلاء لا يكون بالشر وحده، وإنما يكون بالخير أيضًا، لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء/ ٣٥، بل إن نعمة الحياة كلها اختبار وابتلاء ليميز من يحسن ومن يسيء، من يشكر ومن يكفر: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل/ ٤٠ .

﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك/ ٢ .

ومن حقائق الابتلاء فى السنة النبوية أن الابتلاء لا يكون فقط عقوبة بسبب الذنوب والآثام، بل هو سبب رحمة، به تغفر الخطايا وترفع الدرجات، وفى الحديث:

عَنْ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا! قَالَ: "أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ" . قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ . قَالَ: "أَجَلْ

ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِم يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا " .

[البخارى، ك: المرضى/٥٢١٦]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" .

[البخارى، ك: المرضى/٥٢١٠]

والمتأمل المتدبر يرى أن الفتن والابتلاءات فى هذا العصر فتن خطيرة، فتن كقطع الليل المظلم، فأنت تجد ما يراه الشباب من عرى وافتضاح يُرَغِّب إليهم الرذيلة، ويُحَبِّب إليهم المعصية، ومن الفتن أيضًا: أن تكون المقدمة فى المجتمع لمن ليس أهلاً لها، فالنجومية والمثل الأعلى ليست فى العلماء ولا فى الكادحين الجادين من أهل العمل، لكنها - فى الأعم الأغلب - فى أناس أحوالهم تتنافى مع هذه القيم، وأصبح الإنسان فى المجتمعات المعاصرة يكتسب قدره من مستوى السيارة التى يركبها، أو

الشقة التى يسكنها، أو رصيده المالى، لا لعلم ولا لتقوى ولا لصلاح!!!

* ومن الفتن المعاصرة التضييق على أهل الصلاح والعلم، وإفساح المجال وإتاحة الفرصة لغير أهل الكفاءة ولا عجب، فالنبى ﷺ قال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" فلما سئل ﷺ: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة".

[البخارى: ك العلم/٥٧]

وينبغى على المؤمن ألا ينهار أمام هذه السلبيات، بل يصبر، ويرى فيما عند الله عوضًا عن كل مفقود، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ القصص/ ٦٠.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ مريم/ ٧٦.

* ومن أخطر الفتن أن يكون حال الأمة وحال المسلمين ضد الإسلام، يصد عن سبيل الله. فحين يرى غيرُ المسلم المسلمَ يكذب ويخون الأمانة ولا يلتزم بإتقان

عمل ولا معاير جودة، هنالك يصبح المسلم غير الملتزم عبئًا على الإسلام وفتنة لغير المسلمين . وهذه أخطر الفتن: أن نصد عن دين الله عز وجل .

* **من الفتن أيضًا**: غياب الأسوة والقدوة بين دعاة الأمة، حتى صار العلم فى الأعم الأغلب للكسب والشهرة، وليس للتربية وللهداية والإصلاح كما كان . . . . وابتعدنا عن الإخلاص وعن همومنا فحجبنا الله عز وجل .

عدة المؤمن فى مواجهة الابتلاء

لقد أخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان فى معركة الحياة يواجه كثيرًا من الصعاب والشدائد، ويتعرض لكثير من المحن والابتلاءات، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن هدانا وأرشدنا إلى سبل النجاة:

* **أولها**: الاستعانة بالله عز وجل عن طريق الصبر والصلاة، ولنا أسوة فى ساداتنا الأنبياء، فسيدنا رسول الله ﷺ كان إذا أحزنه أمر أسرع إلى الصلاة ونادى: " أرحنا بها يا بلال" [أبو داود: ك: الأدب/] .

وسيدنا يعقوب- عليه السلام- يعلمنا الصبر وألا نفقد الأمل، فهذا الشيخ الآمل لما عاد إليه أولاده بخبر سيدنا يوسف عليه السلام أنه أكله الذئب كان جوابه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف/١٨، وبدلاً من أن يعودوا بابنه الغائب إذا به يفقد ابنًا آخر ويُضاف جرح جديد إلى جرحه القديم ، لكنه يعلمنا ألا نفقد الأمل، فبالإيمان يتجدد الأمل، فقال عليه السلام حين أخبروه بفقد ابنه الثانى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف/ ٨٣ .

ولنا عظيم الأسوة والموعظة فى شأن سيدنا أيوب عليه السلام وما حلَّ به من بلاء فى أهله ونفسه وماله، فكان منه الصبر والرضا، ولاذ بربه ومولاه داعيًا بأدب النبوة قائلاً: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء/ ٨٣ .

فماذا كانت النتيجة وماذا كانت الثمرة؟

إنه الفيض الإلهى والرحمة الربانية والحنان الودود من رب العالمين قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن

ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الأنبياء/ ٨٤ .

وهذا سيدنا يونس عليه السلام لما ذهب غاضبا من قومه وركب السفينة، فلما هاجت أمواج البحر واضطربت السفينة اضطروا إلى التخفيف من حمولتها، فألقوا أمتعتهم فى البحر، ولم يكن ذلك كافيًا كى تأمن السفينة من الغرق فتشاوروا فى إجراء قرعة على إلقاء أحد ركاب السفينة فى البحر، ووقعت القرعة بعد إعادتها مرارًا على نبى الله يونس عليه السلام، ولم يكن فى ظنه أن القرعة ستقع عليه، فألقى بنفسه فى عرض البحر، فالتقمه الحوت، فنادى فى الظلمات (ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت) ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأنبياء/ ٨٧ .

فكان الإنقاذ الإلهى والنجدة الربانية قال تعالى:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الأنبياء/ ٨٨ .

كما توضح الآيات أنه لولا دعاؤه ما فاز بالنجاة، قال تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الصافات/

٤٣-٤٤ .

كل هذا ويؤكد لنا أن النجاة لمن لاذ بالله تعالى .

*** الثبات أمام المحن هدى إيمانى:**

إن الثبات أمام الشدائد والمحن درس قرآنى؛ ففى غزوة أحد، تلك الغزوة التى بدأت بنصر للمسلمين وانتهت بهزيمتهم بسبب مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ ، وتركهم لمواقعهم وانشغالهم بجمع الغنائم واستشهد فى هذه الغزوة حمزة ومصعب بن عمير، وأشيع أن النبى ﷺ قد قُتِل . . كانت المشاعر بعد هذه الغزوة فى حزن وألم، وإذا بأبى سفيان يرسل إليهم رسالة يتوعدهم فيها بأنه يحشد الحشود ويجمع الجموع ليرجع إليهم فيبيدهم ويستأصلهم عن آخرهم .

وهنا نتعلم درس الثبات فى مواجهة الشدائد والمحن من سيدنا رسول الله ﷺ حيث جمع الصحابة وأفهمهم أن الله لم يتخلَّ عنه، وأن ما حدث كان نتيجة لمخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ وتركهم المواقع خالية، فانكشف ظهر

جيش المسلمين، ورفع النبى -- ﷺ - همة الصحابة فكان جوابهم: أنهم سيواجهون أبا سفيان وجيشه وحشوده، فلما علم أبو سفيان بهمتهم وحسن استعدادهم للقتال رجع ولم يحارب، وأنزل الله فى ذلك قرآنًا يتلى؛ ليعظِّم من قيمة هذا الدرس الإيمانى: درس الثبات وعدم الانهيار فى مواجهة المحن والشدائد ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾آل عمران/ ١٧٣ .

لقد علمنا القرآن الكريم أن نلوذ بالله فى أوقات المحن والشدائد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ البقرة/ ١٥٦ .

فبالصبر والرضا تحصل المثوبة والمعونة والبشرى بالفرح من الله عز وجل .

أما السخط والضجر فلا ينال العبد منه إلا خسران الثواب وفقدان معونة الله عز وجل .

والمتأمل لأحوال الناس فى البلاء يرى أن تعب كل أحد من الخلق إنما يكون على قدر منازعته لمقادير الله

سبحانه وعدم صبره وعدم رضاه .

فالسخط باب الكدر والنكد، والرضا باب النعيم والفرج، ويؤكد هذا المعنى حديث النبى ﷺ حيث قال:

"إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ" .

[الترمذى، ك: الزهد/٢٣٩٨]

* ومن المواقف التطبيقية التى تبين ثمار الصبر والرضا هذه المواقف الإيمانية من السنة النبوية:

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَان . فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: "أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ؟" قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا" . فَوَلَدَتْ غُلامًا . قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَرْسَلَتْ

مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَال: "أَمَعَهُ شَيْءٌ؟" قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ . فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَّكَهُ بِهِ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ . يقول راوى الحديث وكان من نسله عشرة من الولد كلهم يحفظ القرآن .

[البخارى :العقيقة/٥٠٤٨]

* عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَت: أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلا فَسُرِرْتُ بِهِ . قَالَ: "لا تُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إلا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟! فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنْ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَم حَشْوُهَا لِيفٌ فَقَعَدَ عَلَيْهَا فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ،

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِي أَنْ لا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ، وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ، فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ عز وجل مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي، قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ (أى من أبى سلمة) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ". [مسند أحمد/١٥٧٥٢]

* أيضًا من سبل النجاة لأهل البلاء: التوسل بصالح الأعمال إلى الله عز وجل لكشف الضر وتفريج الكرب.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَرَجَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ

وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرجَ عَنْهُمْ وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَتْ: لا تَنَالُ ذَلِكَ مِنِّي حَتَّى تُعْطِيَنِي مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً . فَفَرَّجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ، فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟! فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا . فَكُشِفَ عَنْهُمْ" .

[البخارى، ك: البيوع/ ٢٠٦٣]

*** حسن الظن بالله تعالى:**

ما أحوج أهل البلاء إلى حسن الظن بالله تعالى، فالله حكيم وفعل الحكيم كله حِكَمٌ وأسرار، قد يدرك العبد بعضها وقد تخفى عليه، وإياك أن تظن أن الله قد ابتلاك لهوانك عليه، بل إن الله ابتلاك ليؤهلك إلى ما أعده لك من المنازل العالية فى الجنة فى رفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

نعم ابتلاك الله أيها الإنسان؛ لتنال فضل الصابرين، فتعطى من فضل الله فى يوم القيامة بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: ١٠ .

وفى الأثر: قال ابن مسعود: "إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله: سَبَّنِى فلان . . أهاننى فلان، وما هو إلا فضل الله عز وجل . وفى الحديث النبوى الشريف عن أنس عن النبى ﷺ: "يقول الله عز وجل : إن من عبادى من لا يُصلح إيمانه إلا الفقر، وإن

بسط عليه أفسده ذلك؛ وإن من عبادى من لا يُصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك؛ وإن من عبادى من لا يُصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك؛ وإن من عبادى من لا يُصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من يطلب بابًا من العباد فأكفه عنه لكيلا يدخله العجب، إنى أدبر أمر عبادى بعلمى بما فى قلوبهم إنى عليم خبير" .

*** أهل البلاء ينتظرون إحدى الحسنيين:**

من حلَّ بساحته البلاء فرضى بالقضاء، وصبر على البلاء، وأحسن الظن بالله، وأسلم أمره إلى الله تعالى، فإنه يفوز بإحدى الحسنيين، إما أن ينال مطلوبه ويتحقق مراده بكشف البلوى، وإما أن ينال الأجر والإحسان فى الآخرة ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ الأعلى/١٧، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ النحل/٤١ .

ومن يدرى ؟ فكم من فوائد تكمن فى الشدائد، قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء /١٩ . وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة/ ٢١٦ .

*** شبهة مردودة:**

ولا يذهبن الوهم إلى أنا نريد بما قدمنا أن المسلم إذا أصابه مرض يرضى ويصبر ويستسلم فيدع الدواء والتداوى، وإذا اعتدى معتدٍ على نفسه أو ولده أو ماله أو أهله أو على أية حرمة من حرماته يرضى ويصبر ويستسلم فلا يخاصمه ويدافعه بكل ما فى الإمكان من وسائل الدفاع المشروعة، وإذا هجم عدو على أرض الوطن يرضى ويصبر ويستسلم فلا يحاربه ويسترد الحق المسلوب بكل قوة .

كيف نريد شيئًا من هذا وقد ثبت أن النبى ﷺ تداوى من مرضه وأمر بالتداوى، فإنه تعالى كما خلق الداء خلق الدواء، وإن الله تعالى شرع الحدود والأحكام والتقاضى؛ لحفظ الحقوق ورد المظالم وردع الظالم، وأخبر النبى ﷺ بأن "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد" .[الترمذى، ك: الديات/ ١٣٤١].

وشرع الله الجهاد للدفاع عن الإسلام وأهله، وحرماته

وأوطانه .

وإنما نريد منه إذا نابته نائبة ونزلت به نازلة أن ينتزع من قلبه السخط على قضاء الله وقدره، والتبرم بأمره وحكمه، واليأس من رحمة الله وفرجه، ويملأ قلبه إيمانًا بالله ورضًا بقضائه، وصبرًا على بلائه ويأخذ فى أسباب كشفها إذا كانت النائبة مما يستطاع دفعها متوكلاً بذلك على الله معتمدًا عليه فى كشفها . وقد علم أن التوكل لا ينافى الأخذ بالأسباب وقد قال رسول الله ﷺ " اعقلها وتوكل" جوابًا لمن قال: أتوكل فلا أعقلها، وأن الله تعالى كما شرع المسببات شرع الأسباب وأمر بالجرى على سننه فى الخلق، فاعرف ذلك واعمل به، والله الموفق والمعين .

*** شبهة أخرى:**

بعض الناس تدور برأسهم أفكار، وتعتريهم خواطر وتساؤلات من بينها: لماذا الصبر؟ وبخاصة فى المواقف التى يكون فيها الإنسان على حق . لماذا لا نبطش؟ لماذا لا ننتقم؟ وما الحكمة فى الأمر القرآنى المتكرر بالتحلى بالصبر، ثم أليس الصبر موقفًا سلبيًا وضعفًا فى الشخصية؟! . . ونحو ذلك من تساؤلات وأفكار .

ولرد هذه الشبهة أقول وبالله التوفيق:

أولاً: إن من أدب الإيمان أن نكون على يقين كامل بأن الله تعالى حكيم، وأمر الحكيم وفعله كله حكمة، وقد يعجز العقل البشرى عن إدراك هذه الحكمة لكنه يؤمن بها؛ لأن مرجعها إلى الله الحكيم الخبير البصير .

ثانيًا: إن نظرة الإسلام للصبر نظرة إيجابية؛ فالصبر الإيمانى قوة صامتة تمكِّن الإنسان من التحكم فى نفسه والسيطرة على نوازع الهوى ومغريات الدنيا .. إنه سمو بمشاعر النفس؛ لترتبط بتوجيه الله تعالى وتستجيب لأمره .. إنه طاقة إيمانية تُخَلِّصُ الإنسان من دوافع الانتقام والانكباب وراء الصيت والشهرة . ولنا خير أسوة وأفضل قدوة فى سيدنا رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل .

ونصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة توضح أبعاد نظرة الإسلام الإيجابية للصبر:

* فعن الصبر كقوة تسيطر على النفس ونوازعها، يقول النبى ﷺ: "ليس الشديد بالصُّرُعَة، وإنما الشديد الذى

يملك نفسه عند الغضب" .
[البخارى، ك: الأدب/ ٥٦٤٩]

وعن الصبر كطاقة فى التحمل، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ" . [الترمذى، ك: الفتن/ ٢١٨٦]

* وعن الصبر كطاقة دافعة لنيل العلا وتحقيق الطموحات، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ . فصلت/ ٣٢ .

وعن الصبر كلون من الثبات أمام الكوارث المفاجئة، يقول النبى ﷺ : "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" .
[البخارى، ك: الجنائز/ ١٢٠٣]

ومن هنا يظهر لنا أن الصبر فضيلة لا يتأتى لضعفاء النفوس إدراكها؛ لأن ضعفاء النفوس ملكتهم أنفسهم، وسيطرت عليهم أهواؤهم، فأصبحت تصرفاتهم ردود فعل حمقاء ليس لها ضابط إلا إرضاء نفوسهم وغرورهم .

أما المؤمنون الصادقون فإنهم يملكون نفوسهم عند

الغضب، ويثبتون أمام المحن والكوارث دون سخط أو ضجر، ويتأدبون بأدب القرآن، قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة/ ١٥٧،١٥٦ .

وحسب الصابرين من الفضل أن الله جعل جزاءهم يوم القيامة بلا حدود، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الزمر/ ١٠ .

قال الشيخُ على عقيل (رحمه الله تعالى) حينما طُلِبَ منه أن يَرْتَجِلَ قصيدة على وزن البيت الذى يقول:

اللهَ قُلْ وذَرِ الوجُودَ ومَا حَوَى
إنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ

فقال رحمه الله:

اللهَ قُلْ وذَرِ الوجُودَ وما حَوَى
مُتَأَدِّبًا فى ساحَةِ الإجْلالِ

سَلِّمْ لِتَسْلَمَ مِنْ حَيَاتِكَ إِنَّهُ
مَنْ لازَمَ التَّقْوَى سَمَا بِظِلالِ
واجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَضَا اللهِ الرِّضَا
حَتَّى تَكُونَ مُوَفَّقَ الأَحْوالِ
فَتَّشْتُ كُلَّ الْخَلْقِ عَنْ عِلْمٍ فَلَمْ
أَرَ لِى سِوَى رَبِّ السَّمَا مِنْ وَالِ
فَتَرَكْتُ كُلَّ العَالَمِينَ وجِئْتُهُ
وجَعَلْتُ ذِكْرِى ذَاتَهُ مِنْوَالِى
حُبُّ الْمُحِبِّ مِنَ الْمَحَبَّةِ إِنَّهُ
يَهْدِى بِهَا لِلْخَالِقِ الفَعَّالِ
مَدُّ اليَدَيْنِ إِلَيْكَ أَفْضَلُ شِرْعَةٍ
ولِغَيْرِ وَجْهِكَ لا يَصِحُّ سُؤَالِى
أَنَا عِنْدَ ظَنِّى فيكَ أَنَّكَ مُكْرِمِى
مَعَ ذِلَّتِى ولَجَاجَتِى وجِدَالِى
فاجْعَلْ هُدَاكَ شَرِيعَتِى وذَرِيعَتِى
واجْعَلْ شُهُودَكَ لى مَسَرَّةَ حَالِى

يا رَبِّ قَلْبِى قَدْ غَسَلْتُ مِنَ الْوَرَى
إذْ لَيْسَ غَيْرَكَ مَا ذَكَرْتُ بِبَالِى
إنْ مَرَّ بى عَصْفُ الزَّمَانِ وقَصْفُهُ
واللهِ لَسْتُ بِمَا شَهِدْتُ أُبَالِى
أأُحِبُّهُ وأَخَافُ سَطْوَةَ غَيْرِهِ
هَذا وحَقِّكَ لا تَعِيهِ خِصَالِى
رَوْضُ الْمَحَبَّةِ قَدْ شَهِدْتُ جَمَالَهُ
وَجَلالَهُ فَثَبَتُّ فى أحْوَالِى
يا نَفْسُ إنِّى لا أَلُوذُ بِغَيْرِهِ
قُومِى إلَى حَوْضِ الكَرِيمِ تَعَالِى
اللهُ قَرَّبَنِى إلَيْهِ بِذَاتِهِ
لَمْ يَرْضَ لى فى الْحُبِّ أىَّ تَعَالِى
إنَّ الَّذِى فَهِمَ الْمَحَبَّةَ قَلْبُهُ
فى القَدْرِ بَيْنَ بَنِى البَرِيَّةِ عَالِى

سَلِّمْ لِرَبِّكَ أَمْرَهُ واتْرُكْ لَهُ
أَقْدَارَهُ واحْذَرْ مِنَ الأَقْوَالِ
ودَعِ العِبَادَ وشَأْنَهُمْ وفِعَالَهُمْ
إنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ .

الوعد الحق

من الحقائق الإيمانية التى يؤكدها الله تعالى للناس كافة، هذه الحقيقة التى جاءت فى الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ فاطر:٥ .

هذا نداء كريم من الله تعالى إلى الناس كافة، وإن كان كل نداء يأخذ شرفه وقدره من قدر المنادِى، فالمنادى هنا هو الله رب العالمين، والمؤمن من بين الناس ينصت لنداء ربه بتعظيم وتقديس وإجلال، ويستجيب لندائه محبةً فى رضاه، وطمعًا فيما عند الله تعالى من عظيم الثواب .

والله تعالى حين ينادى عباده، فإنما يأمرهم بخير وينهاهم عن شر، وفى هذا النداء الكريم الذى نحن بين يديه يؤكد الله حقيقة إيمانية ثم ينهانا بعدها ويحذرنا . فأما الحقيقة التى يؤكدها الله تعالى فهى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾

واللافت للانتباه هنا أن القرآن الكريم فيه وعدٌ ووعيد .

ووعد الله يكون للمؤمنين بالنعيم والخير فى الدنيا والآخرة .

ووعيد الله يكون للكافرين بالعذاب فى الدنيا والآخرة . والله كريم مع عباده، فقد يعفو عن وعيده بالعذاب تفضُّلاً وتكرُّمًا، لكنه سبحانه لا يرجع عن وعده أبدًا، فوعد الله ثابت لا يتأخر ولا يتخلف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

فكل ما وعد الله به أهل الإيمان من سكينة وطمأنينة وبركة وقناعة وسعادة وسرور فى دنيا الناس، كل ذلك حق .

وكل ما وعد الله به أهل الإيمان من جنة ونعيم فى الآخرة حق وصدق؛ قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ النحل: ٩٧ .

ولمَّا كان النعيم الذى وعد الله به أهل الإيمان فى الدنيا والآخرة لا يتأتى له مثيل ولا نظير، ولا يدانيه نعيم آخر؛ فينبغى أن لا يفتن الإنسان بما فى الدنيا من متاع زائل أو يغفل عن زاد الآخرة أو ينشغل عن طاعة ربه .

﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا . . . ﴾

وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : "يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة، فيصبغ فى النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قَطُّ؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ شدة قط؟ فيقول: لا، والله، ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط" .

[مسلم، ك: صفة القيامة/ ٥٠٢١] .

ثم يقول الله تعالى بعد أن حذَّرنا من الغرور فى الدنيا: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ والمراد بالغرور هنا هو الشيطان الرجيم الذى يزيّن للناس سوء أعمالهم، فيوسوس فى صدورهم، ويعمل على إضلالهم، ويتدرج معهم فى المعاصى ليصل بهم إلى الكفر والعياذ بالله تعالى . ثم يتبرأ الشيطان بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ الحشر/ ١٦ .

ما هذه الدنيا؟!

كل حدث من أحداث الحياة - أى كل ما قبل الموت- فهو دنيا؛ لأنه قريبٌ وكلُّ ما بعد الموت هو الآخرة .

فكل ما لك فيه حظٌّ عاجل ونصيبٌ قريبٌ وغرض دانٍ وشهوةٌ ولذة عاجلة الحال قبل الوفاة، فهى الدنيا .

إلا أنه ليس كل ما لك فيه حظٌّ وميل مذمومًا، وإنما ينقسم إلى ثلاثة:

* **الأول**: ما يصحبك إلى الآخرة، كالعلم لوجه الله، والعمل الخالص لله، وهو من الدنيا ولكنه محمود، والنبى ﷺ قال: "حبب إلَىَّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيبُ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة" .

[النسائى، ك: عشرة النساء/٣٨٧٨]

* **الثانى**: كل ما فيه حظٌّ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة؛ كالتلذذ بالمعاصى والتنعم بالمباحات الزائدة عن الحاجة . فهذا كله من الدنيا المذمومة، وهى المحظورات من المعاصى .

* **الثالث**: وسط بين الطرفين، وهو كل حظ عاجل ولكنه معين على أعمال الآخرة خادم لها، كقدر القوت وكل ما يلزم الإنسان للبقاء فى الحياة، وهو وسيلة لفعل الطاعات؛ لذلك فهو ليس من الدنيا المذمومة، أما إن كانت النية فيه ترجع إلى الحظِّ العاجل والمتعة القريبة والتنعم المجرد دون نية التقوِّى على الطاعة فهو من الدنيا المذمومة .

فالدنيا مذمومة إلا ما أعان منها على الخير والتقوى؛ لذلك قال النبى ﷺ : "مَنْ طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا لقى الله وهو عليه غضبانٌ، ومن طلبها استعفافًا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر" .

إذن . . فالدنيا حظُّ نفسك العاجل الذى لا حاجة فيه لأمر الآخرة . وعبَّر الله عن هذا الحظِّ بالهوى فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات/ ٤٠، ٤١ .

ومجامع الهوى فى خمسة أمور كما فى قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ الحديد/ ٢٠ .

ثم نجد أن الله قد وضح الأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة، وهى سبعة، فى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ آل عمران/ ١٤ .

وحكمة جعل هذه الزينة إنما لاختبار الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ الكهف/ ٧ .

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ الملك/ ٢ .

كل هذه المعطيات إنما تدفع العاقل اللبيب إلى أن يوجه القصد خالصًا لله، وإن كان ذلك يعرِّضه فى بعض الأحيان لحرمان من لذة عاجلة فى الدنيا، وما أهونها على الله !! .

مرَّ رسولُ الله ﷺ على شاة ميتة فقال: "أترون هذه الشاة هيِّنةً على أهلها؟" قالوا: من هوانها ألقوها . قال: "والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على

أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء" .

[الترمذى،ك: الزهد/ ٢٢٤٢]

والنبى ﷺ يقول:

"الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم" . [الترمذى، ك: الزهد/ ٢٢٤٤].

وقوله ﷺ: "حب الدنيا رأس كل خطيئة" [كنز العمال/ ٦١١٤] .

وقوله : "وإن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون" . [مسلم، ك: الذكر/ ٤٩٢٥]

إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب .

وقال النبى ﷺ : "من كانت الدنيا هَمَّه فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة" .

[الترمذى، ك: صفة القيامة/ ٢٣٨٩]

وفى الحديث القدسى: "يا ابن آدم، تفرغ لعبادتى أملأ قلبك غنًى وأملأ يدك رزقًا . يا ابن آدم، لا تباعد منى أملأ قلبك فقرًا وأملأ يدك شغلاً" . [الترمذى، ك: صفة القيامة/ ٢٣٩٠]

وهكذا، يتضح مما سبق أن الدنيا ملعونة إلا ما أدى إلى الآخرة من علم وعمل، وأن الحياة كلها - بخيرها وشرها - ابتلاءٌ من الله تعالى لعباده، فمن شغلته الدنيا عن الآخرة فقد سقط فى الفتنة، ومن شغلته الآخرة أتته الدنيا راغمة وحاز الخير كله فى الدنيا والآخرة .

مواقف من السنة النبوية المطهرة توضِّح لنا الوجوه المختلفة لفتن الدنيا

* بَعَثَ النبيُّ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَت الأَنْصَارُ بِقُدُوم أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: "أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا

يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُم؛ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ" .

[البخارى، ك: الجزية/ ٢٠٨]

* وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: "إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا" . [مسلم، ك: الزكاة/ ١٧٤٤]

* وعَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ) قَالَ: "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي . قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!" .

[مسلم، ك: الزهد والرقائق/ ٥٢٥٨]

* وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قَالَ: "أَتُحِبُّونَ

أَنَّهُ لَكُمْ؟" قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ . لأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: "فَو اَللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ" . [مسلم، ك: الزهد والرقائق/٥٢٥٧]

*** وآيات القرآن تؤكد لنا حقيقة الدنيا قال تعالى:**

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يونس/ ٢٤ .

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ الكهف/ ٤٥-٤٦ .

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ

عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾آل عمران/ ١٤ .

ثم إن السعيد من وُعِظَ بغيره، فليكن لنا عبرة بمن أهلكتهم الدنيا حين افتتنوا بها وأنزل الله في شأنهم قرآنًا كى تظل الموعظة باقية إلى يوم القيامة ينتفع بها العقلاء فى كل زمان ومكان .. فهذا «قارون» جاءت فتنته من جهة المال والسلطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ القصص/ ٧٦- ٨٠ .

ماذا كانت النتيجة؟! لقد خسف الله به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ القصص/ ٨١ .

* وهذا فرعون طغى وتجبر حتى قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ النازعات/ ٢٤- ٢٦ .

* وهذا ثعلبة الذى أَلَحَّ على رسول الله ﷺ أن يدعو له بسعة المال، ورسول الله ﷺ ينصحه: "قليل يكفيك خير من كثير يطغيك يا ثعلبة" . فلما جاءه المال بخل بالزكاة ومنعها فغضب الله عليه وأنزل فيه قرآنًا، قال الله تعالى:

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ التوبة/ ٧٥- ٧٧ .

وغير ذلك كثير، فكل من اُفْتتن واغترَّ بالدنيا كانت عاقبته الخسران والهلاك .

وهنالك من مواقف العظة والعبرة التى تأتى تطبيقا عمليًا لهذه المعانى، موقف الإمام على رضى الله عنه من الرجل الذى انكبَّ على الدنيا فشغل بها ولم ير إلا جمع المال وحيازة الدنيا، حيث أقبل على الإمام على رضى الله عنه فى درس علمه، يطلب منه أن يكتب له عقد دار عظيمة اشتراها، دون تقدير لمكان درس العلم وحق الحاضرين فى هذا الوقت .

وحاول بعض الحاضرين منع الرجل، لكنَّ الإمام عليًا رضى الله عنه أراد أن يجعل من موقف الرجل المفتون موعظة نافعة، فنادى الرجل وطلب المداد والرقعة التى يكتب فيها، ثم بدأ يكتب دون أن يسأل الرجل عن بيانات بشأن الدار . فلم يسأله عن ثمنها ولا عن حدودها ولا عن اسم البائع أو المشترى ونحو ذلك من المعلومات الأساسية لكتابة العقد، بل كتب مباشرة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، فقد اشترى ميتٌ من ميت دارًا تقع فى بلد المذنبين وسكة النادمين، والدار لها حدود أربعة :

* فأما حدها الأول، فالموت .

* وأما حدها الثانى، فالقبر .

* وأما حدها الثالث، فالحساب .

* وأما حدها الرابع، فإما إلى جنة وإما إلى نار" ، فقال الرجل: يا إمام تكتب لى عقد دار أم عقد مقبرة؟!

وفى هذا يقول الحكيم:

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها
فاعمل لدار غدا رضوان خَازِنُها
والجار أحمد والرحمن ناشيها

الكفر ومتاع الدنيا

لفت انتباهي تركز دعاء عامة الناس في طلب الدنيا وسعة العيش وكثرة الأموال والعلو في المناصب والصيت الذائع والشهرة البالغة .

وحتى إذا التقى كثير من الناس بصالح أو تقي طلبوا منه الدعاء لهم ولذويهم وأهليهم بأمور دنيوية، ويصف الناس من وسِّع له في رزقه وعلا منصبه وذاع صيته بأنه فالح وربنا رضي عنه، وهذا الكلام له معنى ومغزى وهو أن الناس تجعل سعة الدنيا في الأموال والأولاد والمناصب ونحو ذلك، تجعلها علامة من علامات رضى الله تعالى وحبه وعنايته بالعبد . هذا اللون من التفكير والاعتقاد يتلاشى أمام آيات القرآن الكريم .

فعلى النقيض من هذا الفكر يقرر القرآن حقيقة غالية نلمحها من خلال تدبر قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ

وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الزخرف/ ٣٥:٣٣ .

أى لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاء الله الدنيا من مال وسلطان ومتاع دليل على محبة الله تعالى فيجتمع الناس على الكفر لأجل المال والسلطان ومتاع الدنيا .

أى لولا ذلك لجعل الله للكافرين لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج أى: مصاعد يُرى ظاهرها من باطنها، وجعل لبيوتهم أبوابًا لها أغلاق خاصة وزادهم من متاع الدنيا بالسرر التى يتكئون عليها تنعمًا وتلذذًا من الذهب وغيره من المعادن النفيسة .

ثم تقرر الآية الحقيقة الإيمانية الغالية، وهى أن هذا المتاع زائل، ولا يساوى فى ميزان الله تعالى شيئًا . . أما النعيم الحق فى الجنة فهو عند ربك للمتقين .

فهذه مقابلة ومقارنة بين أقصى ما يحصل عليه الكافرون فى الدنيا من متاع من باب تعجيل طيباتهم فى حياتهم الدنيا، وبين النعيم الدائم الذى لا ينقطع . وهو نعيم

الآخرة فى الجنة . . عند الله عز وجل وهو للمتقين وحدهم لا يشاركهم فيه غيرهم .

فمتاع الدنيا كله لا يساوى عند الله تعالى شيئًا له قدر أو له قيمة، قال النبى ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماءٍ أبدًا" .

[الترمذى،ك: الزهد/ ٢٢٤٢]

ويخبر النبى ﷺ عن قدر الدنيا فى الآخرة . . وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: "ما الدنيا فى الآخرة إلا مِثْلُ ما يجعلُ أحدكم أُصْبُعَه فى اليم فلينظر بم يرجع؟" .

[مسلم، ك: الجنة/ ٥١٠١]

موقف وعظة:

رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسول الله ﷺ نائمًا على حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله: هذا كسرى وقيصر فيما هم فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟ وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، وقال: "أَوَفِى شكٍّ أنت يا ابن الخطاب"، ثم قال ﷺ: "أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا"

وفى رواية قال: "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا وتكون لنا الآخرة" . [البخارى، ك: التفسير/ ٤٥٣٢]

فإذا كان هذا حال أتقانا وأخشانا لله نبيِّنا الذى اصطفاه الله، فكيف بك أيها المؤمن ترى الفقر علامة غضب من الله وترى الغنى والدنيا علامة رضا من الله ؟ إنما الأمر فى الحقيقة اختبار وابتلاء .

الإنسان

والأسئلة الخالدة

فى ليلة شاتية طويلة، طوى الذهن الأيام الطوال من عمر مضى، مزدحم الأحداث: آمال تتحقق، رغبات تتبدد، رفاق وأحباب يتخطفهم الموت، مواليد جديدة تحمل أمل الحياة . . . وهكذا تتلون الحياة: فقر بعد غنى، وغنى من بعد فقر، وصحة من بعد مرض، ومرض من بعد صحة، ظلم هنا وفقر هناك، وتطوينا الأيام كما طوت من قبلنا . . . ما هذى الحياة؟ وما الإنسان فيها؟

لعل الملائكة كانت قلقة على مستقبل الإنسان على هذه الأرض حين قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة/ ٣٠ .

وكان الجواب من العلى الأعلى:

﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/ ٣٠ .

ويوجه الله تعالى الإنسانَ ويذكِّره بحقائق غالية من شأنها إيقاظ الإنسان من غفلته، وماذا يملك الإنسان أمام

هذه الاستفهامات القرآنية الخالدة، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ المؤمنون/ ١١٥ .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ القيامة/ ٣٦ .

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ الجاثية/ ٢١ .

وتعالى الله أن يخلق الإنسان أو الكون عبثًا!!

تعالى الله أن يترك الإنسان دون حساب!!

كما يذكّرنا القرآن الكريم بلحظات وأوقات مرت وأزمنة مضت، لم يكن للإنسان فيها ذكر ولا وجود، وعلى العاقل أن يسأل نفسه: من الذى جعل للإنسان ذكرًا ووجودًا؟!

لقد كان الإنسان قبل فضل الله حفنة من تراب؛ ثم أنعم الله وتفضَّل على حفنة التراب فسوَّاها؛ ثم نفخ فيها من روحه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ص/ ٧٢ .

وبعد أن تفضَّل الله تعالى على الإنسان فخلقه وجعل له ذِكْرًا ووجودًا بيَّن ووضَّح له مهمته فى هذا الوجود، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ الذاريات/ ٥٦ .

ويصنِّف القرآن الكريم الناس حسب استجابتهم لهدى الله وتوجيهه إلى قسمين، ويرسم لذلك صورتين، يمكن من خلالهما تفسير مظاهر التناقض التى نراها فى هذه الحياة:

* **الصورة الأولى**: توضح الإنسان حين يتخلى عن هدى الله وتوجيهه، حين يتخلى الإنسان عن الإيمان وعن مهمته فى هذا الوجود، وهى مهمة العبودية الخالصة لله رب العالمين .

ويمكن الوقوف على أهم ملامح هذه الصورة من خلال الآيات التالية:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم/ ٣٤ .

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الإسراء/ ١١ .

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف/ ٥٤ .

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ الزخرف/ ١٥ .

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ المعارج/ ١٩ .

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ العاديات/ ٦ .

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ العصر/ ٢ .

والحديث عن الطاغية الظلوم الكَفَّار الخاسر الهلوع الكنود حديث عن الإنسان حين يترك لنفسه وهواه، حين يستبد به الشيطان فى غيبة الإيمان .

وبعد هذه الأوصاف الذميمة يعرض القرآن لنا الصورة الثانية المضيئة .

***الصورة الثانية**: وهى صورة الإنسان حين يؤمن، ويظهر عليه أثر الإيمان فى أقواله وأفعاله وجميع أحواله . وتُظهر الآيات القرآنية هذه الأوصاف الطيبة بوضوح؛ كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ **الأنفال/ ٢ .**

ثم هناك داخل مجال الإيمان منازل ودرجات للمؤمنين

عند الله تعالى وضحها القرآن الكريم، منها: درجة التقوى، ودرجة الصبر، ودرجة الإحسان، ودرجة الأبرار . . . وغيرها من المنازل الإيمانية .

وكل هذا يعطينا إشارة واضحة إلى سر الصلاح والفلاح والتحول من الضلال إلى الهداية . . إنه الإيمان . . فبدون الإيمان يتلطخ الإنسان بالأوصاف الذميمة . . وبالإيمان يتحلى المؤمن بالأوصاف الحميدة .

ومن هنا يمكن أن ندرك بوضوح أن قيمة الإنسان غالية وعالية حين يؤمن، وتؤكد الآيات القرآنية هذا المعنى فى مواضع كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة/ ١١،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات/ ١٣ .

ويقدم لنا القرآن الكريم صورة واضحة عن منازل المؤمنين ودرجاتهم من خلال بيان منزلتهم عند الله تعالى، ويحدثنا القرآن عن المتقين، والمحسنين، وأصحاب اليمين، والسابقين، والأبرار، وعباد الرحمن . . . إلخ .

ويربط القرآن الكريم بين الجزاء الأوفى للمؤمنين وبين

منهج المؤمنين فى حياتهم وأخلاقهم؛ كى ننتهج نهجهم ونتأدب بأدبهم ونتخلق بأخلاقهم . .

ولعل سائلاً يسأل: ما السبيل إلى هذه المنازل؟ وكيف نتحصل على بركتها؟ هل يكفى إعلان كلمة الإيمان؟!

لقد فَرَّق القرآن بين صنفين من الناس كلاهما قال: ربنا الله .

فالصنف الأول: قالها خداعًا ولم يكن لها أثر فى حياته، فقال الله فى حقه:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ البقرة/ ٨ .

أما الصنف الثانى: فقد أعلن إيمانه بصدق، وكان للإيمان أثر فى حياته، فقال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ فصلت/ ٣٠ .

وهكذا تؤكد الآيات حقيقة مهمة؛ وهى أن بركة القرآن لمن يعمل به . . فالعمل الصالح بعد الإيمان الصادق هو السبيل إلى تحصيل هذه المنازل الإيمانية .

هذا المعنى .. يؤكده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .. وهذه الحقيقة الهامة يمكن أن تصل إلينا من خلال التأمل المتأني للآيات القرآنية التالية: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة/ ١-٢ .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء/ ٨٢ .

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ النمل/ ١-٢ .

وهذه الآيات الكريمة تُثْبِتُ للقرآن الكريم الأوصاف التالية: أنه هدى، أنه شفاء، أنه رحمة، أنه بشرى .

ومن نصوص السُّنَّة النبوية تأمل قول النبى ﷺ: "ستكون فتن"، قيل: ما المخرج منها يا رسول الله؟

قال: "كتاب الله، فيه نبأ ما بعدكم، وخبر ما قبلكم، وحكم ما بينكم" . [الترمذى، ك: فضل القرآن/ ٢٨٣١] .

وهنا يثبت الرسول ﷺ للقرآن وصفًا آخر، بالإضافة إلى الأوصاف السابقة، هو أنه المخرج من الفتن .

والسؤال الآن: كيف يتأتى لنا أن ننال هذه البركات

(الهداية، الشفاء، الرحمة، البشرى، المخرج من الفتن) ؟

إن الحفظ مطلوب .. لكنه وحده لا يكفى، فحفظ القرآن وحده لا يرفع جهلاً .. وإنما بالفهم مع الحفظ، وبالعمل بعد الفقه .. نعم ثلاث خطوات: قراءة وحفظ .. ثم فهم وفقه .. ثم عمل وتطبيق .

ولعل هذا هو السر فى أن الله تعالى ختم الآيات السابقة التى أثبت فيها للقرآن أوصاف الشفاء والرحمة والبشرى، ختمها بأوصاف محددة لمن ينالون هذه البركات وتلك الثمرات القرآنية: فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

فهل أدركت معى كيف جعل الله تعالى بركات القرآن وثمراته لأهل التقوى والمؤمنين العاملين؟

حقًّا إن بركة القرآن لمَنْ يعمل به .

ولقد حذَّر القرآن الكريم من أن يتحول الدين إلى كلام تتغنى به الألسنة دون التزام به فى واقع عملى تطبيقى، ولقد ضرب الله مثلاً قاسيًا لمن يعلم ولا يعمل، فقال تعالى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ

يَحۡمِلُ أَسۡفَارًاۢ﴾ الجمعة/ ٥ .

وقال الله تعالى فى شأن الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق ولم يستجيبوا له فى واقعهم العملى فى شتى أمور حياتهم:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأعراف: ١٧٥-١٧٦ .

ولا يزال القرآن الكريم يحمل على هؤلاء الذين جعلوا الدين كلامًا دون تطبيق لما يقولون، فقال سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ الصف: ٢-٣ .

بهذا كله يتأكد لنا أن فلاح الإنسان ونجاحه فى استجابته لأوامر الله تعالى، والالتزام بها فى واقعه العملى .

ولا يخفى على عاقل أثر الجانب العملى التطبيقى فى الدين كله، فهو أجدى وأكثر فاعلية من الجانب النظرى، وحسبنا أن نتأمل انتقال الإسلام وانتشاره فى أفريقيا كيف

تم على أيدى التجار المسلمين؛ لصدقهم وأمانتهم والتزامهم بسلوك الدين الحنيف، بأكثر مما انتشر على أيدى الدعاة بالكلمة .

وهنالك الكثير من الأمثلة من حياة الدعوة لسيدنا النبى ﷺ نلمح فيها أن نسبة كبيرة ممن أسلموا كان السبب فى إسلامهم أفعال النبى ﷺ .. من ذلك:

* إسلام الحَبْر اليهودى (زيد بن سعنة) لما تأكد من حلم النبى ﷺ على الجاهلين، وأن رحمته ﷺ تسبق غضبه .

وغير ذلك من الأمثلة التى تؤكد أهمية الجانب العملى التطبيقى فى الدين .

إن من يعلم ولا يعمل يحرم نفسه من الانتفاع بما يعلم، ومثله كمثل رجل مريض ذهب إلى الطبيب فشخَّص له الدَّاء ووصف له الدواء .. ثم أحضر المريض الدواء، لكنه وضعه بجواره ولم يتناول منه شيئًا رغم علمه بأن فيه الشفاء .

فكيف لمثل هذا المريض أن ينتفع بدواء لم يشربه؟

فالراغب فى الانتفاع بالدواء (القرآن والسنة) .

عليه أن يسارع بشرب الدواء .

الإنسان بين هدايتين

كثير من الناس إذا دعوته إلى طاعة مفروضة، أو للإقلاع عن معصية، يقول لك: لمَّا ربنا يهدينى، أو يقول: لو شاء الله لهدانى . . !! وهكذا سريعًا يُخْرِج هذا الإنسان نفسه من دائرة المسئولية، ويلقى بالمسئولية على الله تعالى .

وفضلاً عما فى هذا التفكير والسلوك من سوء أدب مع الله تعالى، فإنه مغالطة مع النفس فى إطار خدعة شيطانية لصرف الناس عن طاعة الله .

وسوف يَردُّ الله هذا التفكير على أصحابه يوم القيامة، ولن يقبل عند الله تعالى، قال الله عز وجل : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ الزمر/ ٥٩:٥٦ .

حقًّا إن الهداية من الله تعالى، وإن هدى الله هو

الهدى، لكن القرآن الكريم يميز بين هدايتين:

* الأولى: هداية أجراها الله عن طريق الأسباب، وهى هداية الإرشاد والبيان، فجعل الله القرآن الكريم سببًا لهداية الناس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء/ ٩ .

وجعل الله الأنبياء أسباب هداية يرشدون الناس إلى ما يقربهم من الله تعالى، قال تعالى بشأن سيدنا محمد رسول الله ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى/ ٥٢ .

كذلك العلماء، ورثة الأنبياء، جعلهم الله أسباب هداية، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ السجدة/ ٢٤ .

لقد يسَّر الله أسباب الهداية للناس جميعًا، فأنزل الكتب السماوية، وبعث النبيين وأرسل الرسل، وجعل العلماء ورثة الأنبياء يدلون الناس ويرشدونهم .

فمن استجاب لهداية السبب فاتبع القرآن واقتدى بسيدنا محمد ﷺ وجاهد نفسه وهواها تفضَّل الله عليه ومنحه منزلة

أخرى من منازل الهداية، لا تتأتى هذه المنزلة بواسطة مخلوق، بل بتوفيق الله تعالى وتلك هي:

الهداية الثانية: هداية التوفيق، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت/ ٦٩ .

وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف/ ١٥٨ .

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ النور/ ٥٤ .

أما إذا انصرف العبد وأعرض عن هداية الله، فترك أسباب الهداية، ولم يتبع القرآن ولم يقتد برسول الله ﷺ فهو محروم من الهداية ومن توفيق الله تعالى .

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة/ ٨٠، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الجمعة/ ٥، والآيات في ذلك كثيرة .

الإنسان بين شقوتين

اقتضت حكمة الله تعالى أن يعهد إلى آدم بالأكل من كل الثمار بالجنة سوى شجرة واحدة؛ لتكون التربية الإلهية لعزم آدم وإرادته فى الالتزام بهدى الله تعالى، والتحرر من رغائب النفس وعدم الضعف أمام المغريات . وتلك هى التجربة الأولى التى يخفق فيها آدم ويغلب عليه الضعف البشرى تجاه الرغبة فى البقاء والرغبة فى السلطان، وهكذا زين له الشيطان: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ طه/ ١٢٠ .

وكانت هذه التجربة بمثابة تمهيد وتهيئة ليكون آدم خليفة بعد ذلك . ولقد أدركت العناية الإلهية آدم فاجتباه ربه وهداه . ثم صدر الأمر الإلهى إلى الخصمين أن يهبطا إلى الأرض مع تنبيه آدم بعداوة الشيطان . . ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ طه/ ١٢٣، ولقد بيَّن القرآن الكريم أن النزول إلى الأرض والخروج من الجنة يتبعه شقاء وضلال، وتعب وعناء: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ طه/ ١١٧ . فالشقاء إذن ينتظر آدم خارج الجنة . .

ونلمح من سياق آيات القرآن الكريم أن هناك تمييزًا بين شقوتين لابن آدم فى دنيا الناس:

* الأولى: شقوة عامة: وهى الكدح والتعب لتحصيل الأرزاق وإنجاز الأعمال .. وتحمل الآلام التى تصيب الإنسان لِفَقْد عزيز أو لمرض شديد .. أو لعدم وفاء صديق .. إلخ .

وإلى هذه الشقوة أشار القرآن الكريم فى آيات، منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ الانشقاق/ ٦ .

* الثانية: شقوة خاصة: وهى الشقوة التى تترتب على المعصية . وتفهم هذه الشقوة من سياق الآيات التى تتحدث عن الأثر الناتج عن انحراف العبد عن هدى الله تعالى، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ طه/ ١٢٤ .

ولا سبيل أمام الإنسان للسلامة من الشقاء فى الدنيا إلا باتباع هدى الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ طه/ ١٢٣، فمن استجاب لهدى الله تعالى أبدله الله مكان حياة الشقاء حياة النعيم والطمأنينة والسكينة والسعادة .

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ النحل/ ٩٧، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فصلت/ ٣١،٣٠ .

أيها المؤمن الكريم .. أنت فى أمان من الشقاء باتباعك لهدى الله تعالى . . فالشقاء ثمرة للضلال ولو كان صاحبه غارقًا فى المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة، شقوة فى الدنيا وشقوة فى الآخرة، وما من متاع حرام إلا وله غصة تعقبه وقلق وحيرة تحيط به . ولا ينبغى أن نغفل الشقوة الكبرى يوم القيامة لأهل الكفر والشرك والعصيان . .

أما من اتبع هدى الله تعالى فهو فى نجاة من الضلال والشقاء فى الدنيا وفى الآخرة .

اللهم إنا نعوذ بك من درك الشقاء ومن خيبة الرجاء ومن زوال النعمة وفجأة النقمة . .

بين إرضاء الله والناس

مغريات كثيرة تغشى الناس بضيائها من بعيد، كمغريات المال والمنصب والشهرة والقوة، وغير ذلك من زينة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل . وكم من أناس انساقوا وراء هذه المغريات طلبًا لرضاء الناس، وتحقيقًا للمصلحة المادية فكانت خسارتهم عظيمة، وفى قمة هذه الخسارة خسارتهم لرضا الله تعالى .

والمؤمن الفطن إذا رأى نفسه متحيرة بين الله والناس جاهد نفسه وهواها واستعان بالله واستعاذ به، وعلم يقينًا أن كل ما فاته دون الله تعالى فهو يسير وأن كل ما جاءه سوى الله فهو قليل؛ يقوِّى هذا المعنى ويؤيده ما رواه الطبرانى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه . ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه، وأرضى من أسخطه فى رضاه، حتى يزينه ويزين قوله وعمله" .

وإلى هذا المعنى تشير آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة/ ١٣ .

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ النساء/ ١٠٨ .

ولنا أن نتأمل ونتدبر واقع حياة صحابة رسول الله ﷺ الذين تركوا أموالهم وديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، ماذا كانت النتيجة لموقفهم هذا؟ لقد نصرهم الله، وأيدهم بجنده، وأعزهم بعزته، وعَطَّرَ الله ذكرهم فى الدنيا والآخرة، وجعلهم مصابيح للناس فى كل زمان ومكان .

فى المقابل نجد أن هناك الملايين من الناس اندثروا فى التراب، فلا ذكر لهم ولا حظ لهم فى الآخرة، بل وربما كان بعضهم - كالمنافقين - موضع لعنة إلى يوم القيامة .

يضاف إلى هذا أن إرضاء الجميع غاية مستحيلة، وليس مطلبًا لعاقل أبدًا؛ لذلك ينبغى للإنسان أن لا يجعل الناس أمامه فى المقدمة بل يجعل رضا الله تعالى هدفه ومقصده .

- فيما روه الترمذى - أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: "لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا" . [الترمذى، ك: البر/ ١٩٣٠]

نعم . . ينبغى للإنسان العاقل أن لا يتلوَّن ولا يتقلب مع تيار المصالح المادية، يصفق لكل قائم، ويتمسح بكل قوى، ويتساقط صريعًا على أعتاب المنافع الدنيوية . لقد رفع النبى ﷺ بصائر المؤمنين إلى المنزلة العالية، إلى الإيمان بالله تعالى، فلا يصدر من المؤمن إلا ما وافق إيمانه .

إن ربى رحيمٌ ودود

جرت العادة فى دنيا الناس أن يتودد الأدنى إلى الأعلى؛ فيتودد الفقراء إلى الأغنياء، ويتودد أصحاب الحاجات إلى ذوى السلطان، ويتودد الضعيف إلى القوى، وهذا حال عامة الناس، أما الصالحون فيتوددون إلى الله عز وجل .

وأن يتودد العبد إلى خالقه ورازقه فهذا أدبٌ وشرع، أما أن يتودد الله الغنى الكبير المتعال القوى العزيز إلى عباده الفقراء- وكلنا إلى الله فقراء- فهذا منّة وفضل منه سبحانه، والله يتودد، يتحبب، يتحنَّن إلى عباده بنعمه التى لا تعدّ ولا تحصى!! فيتودد إليهم بستره فلا يفضحهم فى الدنيا وإن صدقت توبتهم لا يفضحهم فى الآخرة . ويتودد إليهم بعفوه فلا يعاقبهم إذا تابوا وأنابوا إليه، بل يغفر الزلات ويعفو عن كثير . لما قال سيدنا إبراهيم خليل الرحمن: يا كريم العفو ياربّ، قال له سيدنا جبريل: أتدرى ما كرم عفو الله يا خليل الرحمن؟!

فقال سيدنا إبراهيم: الله أعلم . فأخبره سيدنا جبريل بقوله: إنه من كرم عفوه - سبحانه وتعالى - أنه إذا نظر إلى السيئة غفرها ثم أبدل مكانها حسنة، والله تعالى يقول فى القرآن فى شأن التائبين الصادقين فى توبتهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفرقان/ ٧٠ .

ومن وُدِّهِ سبحانه أنه يؤنس العبد التائب إليه؛ كى لا يقع فى شعور الألم والخجل من المخالفة والتقصير الذى بدر منه فى حق الله، فيؤنسه الله تعالى بكرمه وعفوه، وانظر إلى هذا النداء الودود للمقصرين والمسرفين فى حق الله، لقد أضافهم الله سبحانه وتعالى إلى نفسه؛ ليوسِّع لهم باب الرجاء والأمل فى عفو الله ومغفرته، وذلك هو قوله سبحانه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الزمر/ ٥٣ .

ومن وُدِّهِ سبحانه فى يوم القيامة أنه يدنى عبده إليه كما ورد فى الحديث الصحيح، فيقرره بذنوبه كلها ذنبًا ذنبًا حتى يظن العبد أنه قد هلك، حينئذ يقول الله عز وجل له:

"عبدى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ولا أفضحك بين خلقى" . ومن وُدِّهِ سبحانه أنه يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل . ومن وُدِّهِ سبحانه أن من أعرض وتولّى عنه ناداه من قريب، ومن أقبل عليه تائبًا تلقاه من بعيد، ومن وُدِّهِ سبحانه ألا يعجل العقوبة، بل جعل لملَك الحسنات سلطانًا على ملَك السيئات؛ فإذا اقترف العبد خطيئة أمر ملَكُ الحسنات ملَكَ السيئات أن ينتظر لعلَّ العبد أن يستغفر ويتوب، فإذا تاب العبد كتبها ملك اليمين حسنة، وإلا كتبها ملك السيئات سيئة واحدة، فإن فعل العبد حسنة كتبها ملك اليمين عشر حسنات . ومن وُدِّهِ سبحانه ما ألقى فى قلب الأم والأب من مودة وحنان للأبناء . ومن وُدِّهِ سبحانه أن جعل بين الزوجين مودةً ورحمة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم/ ٢١ .

فكل وُدٍّ بين العباد هو من وُدِّهِ سبحانه .

فسبحان الله الغفور الودود الذى ينزِّل الغيث من بعد ما

قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد، وكل هذه المعانى هى من فيض قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ هود/ ٩٠ .

اللهم اجعلنا من أهل وُدِّكَ فى الدنيا والآخرة

الطريق إلى نور الله

يقف المؤمن متأمِّلاً الحقيقة النورانية فى الآية الكريمة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ النور/ ٣٥، وتوضح آيات القرآن الكريم دلالات هذا النور فالله نور السموات والأرض نوَّرهما بالنور الحسيِ: بالشمس والقمر والنجوم، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ الفرقان/ ٦١ .

والله نور السموات والأرض نوَّرهما بالنور المعنوى: بالكتب السماوية والرسل والأنبياء وأسباب الهداية التى أنعم الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة/ ١٥ .

والسؤال الذى يطرح نفسه ما السبيل إلى الفوز بنور الله؟ والقرآن يجيبنا . . فتصف لنا الآيات الكريمة السبيل إلى الفوز بنور الله تعالى، ويأتى الإيمان بالله تعالى فى القمة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ البقرة/ ٢٥٧ .

ثم يأتى العمل الصالح فى المرتبة الثانية، قال تعالى: ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الطلاق/١١ .

كما يشير القرآن الكريم إلى أن التقوى، ومتابعة الرسول ﷺ من أقوى السبل لتحصيل نور الله عز وجل ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ الحديد/٢٨ .

والقرآن الكريم نفسه سبيل قويم لنور الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ إبراهيم/١ .

فإذا ما استجاب المؤمن والتزم هدى الله عز وجل واقتدى برسول الله ﷺ أنعم الله عليه من نوره .

ولنور الله ثمرات فى الدنيا والآخرة؛ فمن ثمراته فى الدنيا أن ينقل الإنسان من حياة الحرمان والخسران إلى حياة النعيم والسكينة إلى الحياة بالمدلول الإيمانى، قال تعالى:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الأنعام/ ١٢٢ .

أما عن ثمرات نور الله يوم القيامة، فحسبنا أن نتأمل هذا الموقف الذى يعرضه القرآن ليرغِّب المؤمنين فيما عند الله تعالى من فضل؛ فيسارعوا إلى الخيرات، قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ التحريم/ ٨ .

وهذا هو التنوير الحقيقى، والخروج عنه خروج إلى الظلمة والضلال، وسبحان الله القائل: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ النور/ ٤٠ .

لذلك كان من دعائه ﷺ طلب نور الله تعالى؛ فيقول ﷺ: "اللهم اجعل فى قلبى نورًا وفى بصرى نورًا وفى سمعى نورًا وعن يمينى نورًا وعن يسارى نورًا ومن فوقى نورًا ومن تحتى نورًا، اللهم اجعلنى نورًا" . [البخارى، ك: الدعوات/ ٥٨٤١]

بابك مع الله

حين تتأتى الرغبة للإنسان لفعل الخيرات، قد يقف بعض الناس عاجزًا حين لا يجد مالاً ينفقه أو علمًا يعلمه، أو شيئًا مما تعارف الناس عليه من وجوه الخير المشهورة، لكن سيدنا رسول الله ﷺ يصحح لنا ويرشدنا إلى كثرة أبواب الخير، وأنه إن عجز الإنسان عن باب من الخير فأمامه عشرات الأبواب والفرص التى يسَّرَها الله لكل راغب فى فعل الخيرات . وهذا ما يدلنا عليه حديث سيدنا رسول الله ﷺ ؛حين جاءه بعض الصحابة فقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم . . فقال النبى ﷺ : "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة . . حتى قال ﷺ :"وفى بضع أحدكم صدقة . . . " الحديث . [مسلم، ك: الزكاة/ ١٦٧٤] .

يضاف إلى هذا أن المتأمل للإجابات المتعددة والمتنوعة عن سؤال واحد عُرض على النبى ﷺ بشأن أفضل الأعمال عند الله، يظهر لنا أن الأفضلية ترتبط بحال

السائل، وأن الإجابة تنوعت حسب الاستطاعة والميسور للعبد والمناسب له .

فلكل عبد باب مع الله؛ فباب الزوجة مع الله حسن التبعُّل لزوجها وحسن تربية أولادها، وباب العالِم أن يعلِّم الناس مخلصًا لله، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، وباب التاجر الصدق والأمانة، حتى الخادم له باب مع الله وهو إخلاصه في مال سيده، وأمانته تجعل له مثل أجر سيده مرتين، والقاضي له باب مع الله تعالى وهو بذل كل جهده مخلصًا لربه؛ التماسًا للعدل في الحكم بين الناس . . . وهكذا لكل عبد بابه مع الله، وبابك هو ما أقامك الله فيه من عمل صالح فَأَخْلص فيه وأَتْقِنْ وأَحْسِنْ عملَك . . فإن ذلك يصلك بالله تعالى؛ فإن "من أمسى كالاً متعبًا من عمل يده أمسى مغفورًا له"، و"ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرٌ من أن يأكل من عمل يده" . [البخاري، ك: البيوع / ١٩٣٠]

وإذا وقف العبد على بابه مع الله فأحسنه وأخلص لربه كان من أهل باب من أبواب الجنة ينادى عليه من هذا الباب يوم القيامة . . بل هناك من أهل العزم في الخيرات من

يُنادى من أكثر من باب من أبواب الجنة؛ فقد ورد فى الحديث أن لكل باب من أبواب الجنة أهلا يُنادى عليهم منه، فقال أبو بكر الصديق: وهل هناك من يُنادى عليه من أكثر من باب؟ فقال رسول الله ﷺ : "نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر" . [البخارى، ك: الصوم/ ١٧٦٤]

الصحبة والعنوان والزاد

طال الأجل أم قصر فلابد من رحلة عن هذه الحياة، وإذا سبق القدر وحان الأجل فما تصنع الحيل؟ . . . تسقط عن الإنسان وتفارقه كل الألقاب، والمظاهر التى يتوارى فى ظلِّها، ويتبدد الزيف، ويتلاشى الكذب، ويذهب النفاق وتأتى الحقيقة الكبرى وتعترف البشريَّة بقمة عجزها أمام هذه الحقيقة . . فلا الطبيب ينفع ولا السلطان يجدى قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ الواقعة/ ٨٣-٨٧ .

ويرحل الإنسان عن دنيا الناس لا يحمل معه إلا ما كسب من خير أو اكتسب من الإثم، وفى الحديث: "إذا مات العبد قال الناس ما خلَّف - أى ماذا ترك لنا نرثه - وقالت الملائكة: ماذا قدَّم؟" .

ولذلك يوصينا القرآن فى الدنيا أن نستعد وأن نقدِّم لغد، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ الحشر/١٨، ويقول المعصوم ﷺ « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» .

ويمكن للمؤمن أن يحدد صحبته فى الآخرة!! وأن يحدد عنوانه فى الآخرة!!

فأما عن الصحبة فنعوذ بالله من صحبة أهل النار، ولننظر إلى أهل الجنة ودرجاتهم لنعمل بأعمالهم ونتأدب بأدبهم كى نكون معهم .. فمع من تحب عليك أن تعمل بعمله .. مع المتقين .. مع المحسنين .. مع الأبرار بل يمكن لك أن ترقى فى تحديد الصحبة .. وتحديد العنوان؛ لتكون فى رفقة الأنبياء والشهداء، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ النساء/ ٦٩ .

وأما عن زاد الرحلة فالله تعالى دلّنا عليه، وأمرنا به فى قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ البقرة/ ١٩٧ .

ويجمع هذا كله قول الرسول ﷺ: "يا أبا ذر، أحكم السفينة فإن البحر عميق واستكثر من الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير" .

الصحبة: رفقة الأنبياء والصديقين والشهداء .

والعنوان: أعلى درجات الجنان .

والزاد: تقوى الله عز وجل .

عَلامَ التعالى وفيمَ التفاخر؟!

شَرَّف الله أهل الإيمان، فخصَّهم بنداءات إيمانية فى القرآن الكريم يأمرهم فيها بفعل الخيرات وترك المنكرات؛ كى يكونوا أهلاً لمنزلة الإيمان التى أكرمهم بها، ومن بين هذه النداءات الإيمانية قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات: ١١-١٢ .

وكى نستشعر فضل الله فى هذا النداء، نسأل أنفسنا فى رحاب هذه الآية الكريمة: من المنادِى؟ ومن المنادَى عليه؟ ومن الذى بلَّغ النداء؟ .

وإن كان كل نداء يأخذ قدره وقيمته من قدر المنادى، فالمنادى هنا هو الله رب العالمين .

وأما المبلِّغ للنداء فهو الحبيب الشفيع، الرءوف الرحيم بأمته، إنه رسول الله ﷺ.

وأما المنَادى عليه فكل عبد آمن بالله تعالى ربًّا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد نبيًّا ورسولاً .

وأما موضوع النداء فهو النهى عن جملة من الأخلاق السيئة التى لا ينبغى أن يتصف بها المؤمن . . أولها : ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ الحجرات/ ١١ .

ومن وُدِّ الله لعباده المؤمنين أن يخاطبهم بشكل مقنع، فيقرن الله النهى بسببه وعلته، كى يكون النهى أوقعَ فى العقل والقلب؛ فقال سبحانه : ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الحجرات/١١ .

وتأمل معى أخى المؤمن: إن كان الناس كلهم لآدم وآدم من تراب فعلام التعالى وفيم التفاخر؟!

قد يتعالى بعض الناس بأموالهم أو بمناصبهم، أو بعلمهم، أو بقوتهم، أو بغير ذلك من نعم هى من فضل الله تعالى . . قال تعالى : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النحل/ ٥٣ .

والنعم تستوجب الشكر للمنعم لا أن نتعالى بها على الناس، وتبين الآية أن المسخور منه والمُستَهزأ به ربما كان قدره عند الله أغلى وأكرم .

وفى الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: مرَّ رجل على النبى ﷺ ، فقال لرجل عنده جالس: "ما رأيك فى هذا؟" فقالَ: رَجُل من أشراف الناس هذا والله حَرىٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يُشَفَّعَ . فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ آخر، فقال له رسولُ الله ﷺ : "ما رأيك فى هذا؟" فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حَرىٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع لا يشفع، وإن قال لا يُسمع لقوله . فقال رسول الله ﷺ : "هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا" .

[البخارى، ك: النكاح/ ٤٧٠١]

وروى مسلم عن عياض رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبغى أحد على أحد" .

[مسلم، ك: الجنة/ ٥١٩٠]

وربما كان التباهى بالزينة والجمال أكثر شيوعًا بين كثير من النساء فعقَّب الله بالنهى الخاص بهن: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ الحجرات/ ١١ .

ثم تعرض الآية لنهى جديد: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ الحجرات/١١ . أى: لا ينبغى أن يعيب بعضكم بعضًا ؛ لأن المؤمنين كلَّهم كنفس واحدة ؛ فمتى عاب المؤمن أخاه فقد عاب نفسه .

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ الحجرات/ ١١ ؛ فلا ينبغى لمن أكرمهم الله بالإيمان أن يدعو بعضهم بعضًا بألقاب مكروهة سيئة، والنبى ﷺ كان يدعو أصحابه بأحب الألقاب وأحسنها، مثل لقب الصديق لأبى بكر رضى الله عنه ، ولقب الفاروق لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فنداء أخيك بما تحب فيه تأليف لقلبه ورعاية للمودة والمحبة التى يزكيها الإسلام بين أهل الإيمان .

ثم تدعو الآية من اقترف شيئًا من هذه النواهى أن يتوب

وأن يكف عن ظلم نفسه .. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات/ ١١ .

ثم يجدد الله النداء لتأكيد النهى ولفت الانتباه إلى خطورة هذه المعاصى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات/ ١١ . والاجتناب غير الفعل، فالاجتناب ترك الدواعى والأسباب المؤدية إلى الشىء، والظن هو التهمة التى لا دليل عليها، ولا برهان لها، ولقد نهى النبى ﷺ عن الظن؛ جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث"؛ ثم تنهانا الآية عن التجسس وهو التماس عيوب الغير والبحثُ عنها، ونهانا عنه أيضًا رسول الله ﷺ؛ ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا" . [البخارى، ك: النكاح/ ٤٧٤٧]

ثم يأتى فى ختام المنهيات ما جاء فى هذه الآية حيث النهى عن الغيبة، وشبه - سبحانه وتعالى - المغتاب تشبيهًا

ينفر المؤمنين منه وأورده بصورة استفهامية تثير العقل؛ ليلفت انتباه الغافل، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات/ ١٢ .

*** لحوم البشر .. أشهى مأكولات العصر**

هل خطر ببالك أن يكون أحد الأصحاب وجبة شهية لا يشبع منها الرفاق إذا اجتمعوا؟ ولا يملون تكرار تناولها كلما جلسوا .

ماذا يكون شعورك نحو الذابح والذبيح ..؟

هل يمكن أن تمتد يدك لتأكل لحم أخيك وأنت على يقين أن لحمك هو طعام الوجبة القادمة ..؟

أظن أن البشر على اختلاف أجناسهم ومللهم ينظرون إلى فعلة كهذه نظرة التأذى والاشمئزاز .

والآن هيىء نفسك لتتلقى هذا التقرير الذى يعبر عن واقع موجود فى حياتنا ..

"نحن نمارس هذه الفعلة فى اليوم مرات ومرات، بل وبشهية كبيرة" !!.

والحالة بهذه الصورة حالة مَرَضِيَّة تستوجب العرض على أشعة الهداية القرآنية؛ لتشخص المرض بدقة ووضوح، ثم نلتمس من القرآن والسنة سبل الشفاء .

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات/ ١٢ .

وأخرج أبو داود عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "مررت ليلة أُسْرِىَ بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم، فقلت: يا جبريل، ومن هؤلاء؟قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم . [أبو داود، ك: الأدب/ ٤٢٣٥]

يحدد النبى ﷺ بدقة ووضوح معنى الغيبة وذلك فيما رواه مسلم عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة" .

قالوا: الله ورسوله أعلم .

قال: "ذكرك أخاك بما يكره"، قيل: أرأيت إن كان فى

أخى ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه" . [مسلم، ك: البر/ ٤٦٩٠]

ولا تقتصر الغيبة على اللسان فكل ما يظهر معنى الغيبة ويقوم مقام لفظها ويؤدى معناه من فعل أو إشارة أو كتابة فهو غيبة، ويشهد لذلك ما رواه ابن أبى الدنيا وابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها قالت: "دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدى أنها قصيرة" فقال ﷺ : "قد اغتبتيها" . [المسند/ ٢٣٨٩٨]

وكما أن الحديث بالغيبة حرام فسماعها حرام أيضًا؛ إذ فيه لون من مشاركة المتحدث فى الإثم، وانصراف المؤمن عن المغتاب فيه لون من النهى العملى عن الغيبة، وعدم إتاحة الفرصة لإتمام عملية الغيبة، بل له أن يعظه وينهاه بالقول إن كان ذلك لائقًا به، ويتأتى منه لقول النبى ﷺ فيما رواه مسلم من حديث تميم بن أوس الدارى: "الدين النصيحة" . [البخارى، ك: الإيمان/ ٨٢]

واجتمعت كلمة أهل العلم على أن كفارة الغيبة تكون بالتوبة أولاً ثم الاستحلال إن أمكن، لقول النبى ﷺ فيما

اتفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : "من كان لأخيه عنده مظلمة فى عرض أومال فليستحله منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار أو درهم، إنما يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه" .

[البخارى،ك: المظالم/ ٢٢٦٩]

فإن سبب الاستحلال ضررًا أكبر، أو لم يكن ممكنًا لموت من اغتابه أو عدم معرفة مكانه .. إلخ، فعليه أن يكثر من الثناء والدعاء لمن اغتابه لقول النبى ﷺ فيما أخرجه ابن أبى الدنيا: "كفارة من اغتبته أن تستغفر له" .

أخى المسلم . . . فكر جيدًا .

* لِمَ تُحَكِّم من تغتابه فى حسناتك (الثروة النافعة فى الدار الآخرة) . .؟!!

* بل وتتحمل من سيئاته إن أنهى على حسناتك .

* كيف تنفق نعمة الوقت فى عمل غير صالح؟!

أخى المسلم . . اعتذر ولا تجلس على هذه الموائد . . إنها موائد مسممة . . مدمرة، وأتح لنفسك فرصة القرب

من أنوار هداية القرآن وبركة السنة .

اللهم طهّر ألسنتنا وجوارحنا من كل ما لا تحب، وجمِّل ألسنتنا وجوارحنا بكل ما تحب .

نفسك التى بين جنبيك

الإنسان شغوف دائمًا بالتعرف على ذاته، وعلى نفسه، ما النفس؟ وما أوصافها؟ وكيف تتمايز النفوس إلى خيرة أو شريرة؟ وقامت من أجل ذلك علوم لدراسة النفس البشرية دراسة منهجية، وواجهت هذه الدراسات صعوبات لعل من أهمها صعوبة التحكم فى عينة الدراسة أو فصل الجزئية المراد دراستها؛ لذلك كانت النتائج بعيدة عن اليقين، وما زالت رحلة المعرفة تستكشف كل يوم جديدًا، لكن خالق النفس العليم بأمرها يقدم لنا زادًا من المعرفة الحقة عن النفس الإنسانية .

النفس وصلتها بالروح: .

الذى اتفق عليه جمهور أهل السنَّة والجماعة أن النفسَ هى الروح؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزمر/ ٤٢، وحديث النبى ﷺ فى الدعاء عند النوم: "فإن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" .

[البخارى، ك: الدعوات / ٥٨٤٥]

والنفس أو الروح هى ذلك السر العظيم الممنوح بقوة الله تعالى لهذا الجسد الترابى، ليبعث فيه الحياة، فتنظر العين وتتحرك اليدان والرجلان ويدق القلب ويفكر العقل .

والنفس تطلق فى القرآن على الذات بجملتها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ النساء/ ٢٩، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ النحل/ ١١١، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ المدثر/ ٣٨ .

فحديث القرآن عن النفس أو الروح يصرف الأمة عن التفكر أو البحث فى ذات النفس أو الروح؛ لأنه خارج عن طاقتهم وقدرتهم وعلمهم؛ إنه مما اختص الله به، قال تعالى: ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ الكهف/ ٥١، وقال عز وجل : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ الإسراء/ ٨٥ .

لكن القرآن يركز على ما يزكى هذه النفس ويرغِّب فيه، ويرغب عما يدنس هذه النفس، ويرهب منه ويبغِّض فيه، ألستم تقرءون: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا

﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ الشمس/ ٧:١٠ . والإلهام هنا بمعنى: الإفهام والإعقال، مثل قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ البلد/ ١٠ .

وبشر الله من خالفوا هوى النفس بجنته فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات/ ٤١،٤٠ .

مراتب النفس فى القرآن:

قسم القرآن الكريم النفس إلى أنواع ثلاثة:

١- الأَمَّارة: وهى أدنى أوصاف النفس، حين تألف الشر وتأمر صاحبها به، وتزينه له، وفيها يقول ربنا: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ يوسف/ ٥٣ .

٢- اللوَّامة: وهى درجة متوسطة للنفس، فهى تبغض الشر وتلوم صاحبها على فعله، ولكنها لا تسلم من الوقوع فى الآثام، لكن اللوم يعذب صاحب هذه النفس بعد معصيته، وهى نفس سمت وارتفعت عن أوصاف النفس الأمارة بالسوء، وهى التى أقسم الله بها فى قوله: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ القيامة/ ٢ .

٣- المطمئنة: وهى أسمى مراتب النفس، وهى التى تطمئن بالخير وتأمر صاحبها به، وهى التى سمت وارتفعت عن أوصاف النفس اللوامة، وحدثنا عنها القرآن فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ الفجر/ ٣٠:٢٧ .

وهذا التقسيم لا يخالف ما عليه تصنيف أحبابنا أهل التصوف، إذ لهم تفريعات من هذه الأقسام .

ولا يحسب أحد أن النفس تنتقل من الأمَّارة إلى اللوَّامة أو من اللوَّامة إلى المطمئنة دفعة واحدة، بل النفس تؤخذ بما غلب عليها من الصفات . والنفس واحدةٌ، فإن تُرِكَت للشيطان كانت أَمَّارة، وإن اقتربت من منهج الرحمن كانت لوَّامة، وإن تشعبت بمنهج الله فأحبت الرحمن وخاصمت الشيطان صارت مطمئنة .

منهج قرآنى لتهذيب النفس وتربيتها:

أهل الإيمان مخاطبون من الله تعالى بعدم ترك النفس تسرح وتمرح وتلهو وتلعب فى ميدان الجهلة و العصاة؛ لأن النفس كما قال البوصيرى:

والنفسُ كالطفل إن تهمله شَبَّ على
حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

واستمع معى لهذا النداء الإيمانى فى القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ المائدة/ ١٠٥ .

ما أسعدنا ونحن ننعم ونفيد من تفسير رسول الله ﷺ لهذه الآية؛ فهو أعلم الناس بالقرآن، كيف لا وعليه قد أنزل؟ كيف لا وسنته بيانٌ للقرآن؟ فعن أمية الشعبانى قال: سألت أبا ثعلبة الخشنى، قلتُ: يا أبا ثعلبة، كيف تقول فى قول الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾ المائدة/ ١٠٥ . قال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: "ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوىً مُتبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل

فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منَّا أو منهم؟ قال: بل أجرُ خمسين منكم" . [الترمذى، ك: تفسير القرآن/ ٢٩٨٤]

هذا لمن أقام كتاب الله فى نفسه وربَّى نفسه على موائد رسول الله ﷺ، فى زمان فشت فيه المعصية وساء العلم، وازداد الفسوق، وعمَّ الترف، وكثرت الشهوات . سيكون له أجر مضاعف مثل أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ.

فإن ترك الإنسان نفسه فماذا ينتظر ورسولُ الله ﷺ يقول فى شأنها: "أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك"؟ . [إتحاف المتقين: ٩/ ٣٣]

ولا شك أن كل واحدٍ منا يجد من نفسه أمورًا لا ترضى الله تعالى، فكيف السبيل وكيف الخلاص؟

الخلاص فى أمور أربعة: المشارطة، المراقبة، المحاسبة، المعاتبة .

١- المشارطة:

المؤمن مكلف بطاعة الله تعالى، فعليه أن يتوب

ويشارط نفسه على التزام طاعة الله وإقامة كتاب الله فى أقواله وأفعاله، وأن مرجع أسوته وقدوته رسول الله ﷺ .

٢- المراقبة:

على المؤمن أن يتابع نفسه ويلاحظها ويراقبها فى سرها وعلنها، يقول البوصيرى:

وراعِها وهى فى الأعمال سائمةٌ
وإن هى استحلت المرعى فلا تُسِمِ
كم حسَّنت لذة للمرءِ قاتلةً
من حيث لم يدر أن السُّمَ فى الدسَم

وليعلم أن الرقابة الإلهية تسجل كل مخالفة، وحسبنا ردعًا قول ربنا البارى سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ النساء/ ١ ، ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ الأعلى/ ٧، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ العلق/ ١٤ .

٣- المحاسبة:

على الإنسان أن يسجل على نفسه ما اقترف من إثم وما فعل من معصية، وأن يحاسب نفسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ الحشر/١٨، وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم" .

٤- المعاتبة والمعاقبة:

كان الفاروق عمر رضى الله عنه يعاقب نفسه فيضربها ويوبخها .

ولعل هذه المعانى غريبة فى عصر الإشباع المادى الذى يسعى فيه كل إنسان متفننًا مجتهدًا كيف يمتع نفسه، لا كيف يهذب نفسه .

سيدنا عمر حدثته نفسه يومًا بسوء، وحديث النفس معفى عنه لا يحاسبنا الله عليه، لكنَّ عمر لم يسمح لنفسه بذلك، وذهب إلى المسجد والناس جموعٌ بالمسجد، فصعد المنبر ونادى بأعلى صوته: "أيها الناس، إن نفسى حدثتنى بسوء، فأقسمت بالله عز وجل أن أزجرها أمامكم كى لا تعود إلى مثل ذلك أبدًا" .

فعليك أيها المؤمن أن تكون متهمًا لنفسك، مراقبًا لها، محاسبًا، معاتبًا، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، يقول سيدنا النبى ﷺ : "الكَيِّسُ مَنْ دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى" . [الترمذى، ك: صفة القيامة/ ٢٣٨٣]

حديث النفس:

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ" . [البخارى، ك: الطلاق/ ٤٨٦٤]

فما هو حديث النفس الذى عفى عنه؟

هو مثل حديث عثمان بن مظعون الذى رواه مسلم والترمذى والنسائى: قال عثمان بن مظعون: يا رسول الله، نفسى تحدثنى أن أطلق خولة . فقال: "مهلاً؛ فإن من سنتى النكاح" . قال: نفسى تحدثنى أن أَجُبَّ نفسى . قال: "مهلاً؛ إن خصاء أمتى دؤوب الصيام" . قال: نفسى تحدثنى أن أترهب بنفسى . قال: "مهلاً، رهبانية أمتى

الحج والجهاد" . قال: نفسى تحدثنى أن أترك اللحم، قال: "مهلاً، فإنى أحبه ولو أصبته لأكلته، ولو سألته ربّى لأَطْعَمَنِى" .

فمثل هذا حديث نفس لا تنعقد النية على فعله ولا يقوم العزم على تنفيذه، بل هى خطرات تمرُّ بالنفس، فهذا معفى عنه .

أما اعتقاد القلب، فهو انعقاد وقيام العزم على فعل شىء، فهذا محاسبٌ عليه العبدُ، فإن رجعَ عن نيته السيئة فقد تاب إلى الله تعالى، وإن أنفذ ما حدثته به نفسه وقعَ فى المعصية، ولهذا قال البوصيرى:

وخالف النفسَ والشَّيطانَ واعصهما

وإن هما محَّضَاك النُّصْحَ فَاتَّهم

فاختر لنفسك أيها المؤمن ما تحبُّ أن تكونه، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ البقرة/١٤٨ .

رسالة إبراهيمية إلى الأمة المحمدية

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لقيت إبراهيم عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام ليلة أُسرى بى، فقال: يا محمد: أقرئ أمتك منى السلام؛ وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

[رواه الترمذى، وقال: حديث حسن]

قيعان: جمع قاع، وهو المكان الواسع المستوى من الأرض.

الحديث يشير فى بدايته إلى الصلة الودودة الحميمة بين الأمة المحمدية وأنبياء الله تعالى، وذلك للمكانة الكريمة التى فضل الله بها هذه الأمة على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران/ ١١٠.

ورغم أن الأمة المحمدية هى آخر الأمم إلا أن خبرها معلوم لدى الأنبياء، وذلك من خلال التبشير بهذه الأمة

وبنبيها سيدنا محمد ﷺ فى الكتب السابقة .

وكان فى المنزلة العالية التى فضَّل الله بها سيدنا محمدًا ﷺ حين صلى بالأنبياء إمامًا ليلة أُسرى به، وأيضًا لما جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين، والمتفرد بالشفاعة بين أنبياء يوم الدين، رفعة للأمة المحمدية .

قال الإمام البوصيرى:

لما دعا الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" .

[البخارى، ك: التيمم/ ٣٢٣]

وهذه الرسالة الإبراهيمية تخبر عن حب وود سيدنا

إبراهيم عليه السلام لأمة الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ ، وليس نبى الله إبراهيم وحده فى هذا الود للأمة المحمدية؛ فسيدنا موسى عليه السلام لما أطلعه الله على الفضل الذى أسبغه على الأمة المحمدية تمنى أن يكون واحدًا من هذه الأمة، وقال النبى ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي " .

[مسند أحمد/١٤٦٢٣]

محتوى الرسالة:

ومحتوى الرسالة الإبراهيمية قسمان:

الأول: التحية الإيمانية لهذه الأمة . "أقرئ أمتك منى السلام" وينبغى على كل مؤمن إذا وصلته هذه التحية أن يردها، فيقول: "وعليك يا نبى الله يا خليل الله يا سيدنا إبراهيم السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجزاك الله عنا خيرًا" .

الثانى: بشرى ونصيحة لهذه الأمة المحمدية: "وأخبرهم أن الجنة . . . إلخ" .

أى أن الجنة متهيأة لاستقبالكم فاجتهدوا فى طلبها

والسعى إليها، ويخبرنا أن المكانة العالية فى الجنة تتأتى للذاكرين والذين بحوزتهم غراس الجنة .

وفى الحديث الذى رواه الترمذى وقال حديث حسن عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: " مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ" .

[الترمذى ك: الدعوات/ ٣٣٨٦]

مَن المفلح . . .؟

روى الإمام أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَثْنَا سَاعَةً فَسُرِّيَ عَنْهُ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ "اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلا تَنْقُصْنَا وَأَكْرِمْنَا وَلا تُهِنَّا وَأَعْطِنَا وَلا تَحْرِمْنَا وَآثِرْنَا وَلا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا" ثُمَّ قَالَ ﷺ "أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ . [الترمذى، ك: التفسير/٣٠٩٧]

وهذه بشرى من سيدنا رسول الله ﷺ لمن أقام هذه الآيات من أمته، وإقامتها مداومة العمل بهديها . ولا يكفى حفظها أو تلاوتها أو العلم بها فقط، فكل ذلك لا يرقى بصاحبه للفوز ببشرى رسول الله ﷺ .

وقد افتتح الله تعالى هذه الآيات بتأكيد وتحقيق الفلاح وجعله وصفًا خاصًا بأهل الإيمان؛ فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ والإيمان ليس مجرد كلمة تنطق باللسان .

قال الحسن البصرى: "ليس الإيمان بالتمنى، إنما

الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل" .

فلا بد من العمل لمن أراد بلوغ الفلاح؛ إذ إن الفلاح ما ذكر فى القرآن الكريم إلا مقرونًا بفعل طاعة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج/ ٧٧ .

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور/ ٣١ .

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة/ ١٠ .

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة/ ٣٥ .

وفى المقابل ينفى القرآن الكريم الفلاح عن أهل المعصية، فإذا ذكرت مخالفة؛ انتفى الفلاح وحلَّ محله وصف آخر . قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ القصص/ ٣٧ .

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يونس/ ١٧ .

من هنا نعلم أن الإيمان ضرورى فى سلوك سبيل الفلاح؛ إذ هو السر فى تحول الإنسان من الظلمات إلى النور، ومن المعصية إلى الطاعة، فإذا تجرد العبد عن وصف "المؤمن" إلى "الإنسان" فقط؛ انحدر إلى قاع

الهاوية غير واجد سبيل النجاة . قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝﴾ العصر/٢، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝﴾ العاديات/٦، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم/٣٤ .

ثم تفصل الآيات بعد ذلك ما أجملته؛ حيث تحدد تكاليف الإيمان من الطاعات التى تصل بالإنسان إلى الفلاح . . ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ . . .﴾ .

وإذا أمعنت فى النظر وجدت أن الله تعالى قد افتتح الآيات، واختتمها بصفتين تخصان المصلين؛ فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝﴾، وقال فى ختامها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ المؤمنون/٢ - ٩ .

والمحافظة على الصلاة هى أداؤها فى أوقاتها التى حددها الله تعالى، وبينها رسول الله ﷺ.

فصلاة الظهر مثلاً وقتها من أذان الظهر إلى قبيل أذان العصر، وبينت السنة المطهرة تفاضل أجزاء ذلك الوقت؛ فأوله رضوان، وأوسطه رحمة، وآخره عفو، كما أخبر النبى ﷺ .

[الترمذى، ك: الصلاة/ ١٥٧]

وأما الخشوع فله قسمان:

(١) خشوع القلب . (٢) خشوع الجوارح .

أما خشوع القلب فهو قمة حضوره مخلصًا لله تعالى لا ينشغل بشيء سواه . ومنه الاطمئنان، وقد عدَّه بعض الفقهاء كالمالكية ركنًا لا تصح الصلاة بدونه .

قال رسول الله ﷺ للرجل الذى لم يطمئن فى صلاته: " ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" . [البخارى، ك: الآذان/ ٧١٥]

وأما خشوع الجوارح فهو سكونها أثناء الصلاة . فلا ينصرف النظر إلى غير موضع السجود، ولا تتحرك اليدان أو الرجلان عن مواضعهما . فلا يجوز لمصلٍّ أن يتحرك حركات زائدة فى الصلاة بغير عذر .

وخشوع الجوارح لا يتأتى إلا من خشوع القلب، كما قال النبى ﷺ: "ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ" .

[البخارى، ك: الإيمان / ٥٠]

ووجد رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته فى صلاته

فقال: "لو خشع قلب هذا؛ لخشعت جوارحه" .

وهنا سؤالٌ يطرح نفسه: كيف يصل الإنسان إلى الخشوع فى الصلاة؟ وفيما يلى الفائدة:

لقد سئل حاتم الأصم كيف تصلى؟ قال: إذا أردت الصلاة قمت إلى الوضوء فأسبغته، ثم أتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأجلس فيه حتى تجتمع جوارحى، ثم أقوم إلى الصلاة فأجعل الكعبة بين عينىّ، والصراط تحت قدمىّ، والجنة عن يمينى، والنار عن شمالى، وملك الموت من ورائى، والله ناظرٌ إلىّ ومطَّلعٌ علىّ، ثم أدخل الصلاة فأكبر تكبيرًا بتحقيق، وأقرأ قراءة بتدبر وترتيل، ثم أركع ركوعًا بتواضع، وأسجد سجودًا بخشوع، ثم أتبعها الإخلاص، ثم أخرج من صلاتى لا أدرى أقبلها الله منى أم لا؟ .

ذلك الذى ذكره هو عين الخشوع والخضوع بالقلب والجوارح، وحسبك من كل ما تقدم قول رسول الله ﷺ : "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلاةَ وَلا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إلا مُؤْمِنٌ" .

[ابن ماجة، ك: الطهارة وسننها/ ٢٧٣]

بين وحى يُتلى ووحيٍ يُنفَّذ

الذين يشككون فى السنة وينادون بعزل السنة عن التشريع والاكتفاء بالقرآن الكريم، كيف يفهمون هذه الآيات وهى تضع السنة فى ارتباط وثيق وصلة أكيدة بالقرآن الكريم:

أولاً: قول الله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل/ ٤٤ . فالسنة مبيِّنة ومفصِّلة وموضِّحة للآيات؛ فالبيان بنص الآية مرتبط بالتنزيل ومقترن به، وإلا فأخبرنى - هداك الله -عن أمور أجملها القرآن وجاء بيانها فى السنة، كالصلاة والحج والزكاة والصيام؛ فبيان كل هذه العبادات وتفصيل كيفيتها لا يوجد إلا فى السنة، وتمّ بوحى من الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ .

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء/ ٦٥ فانظر - هداك الله - كيف ربط القرآن الكريم بين الإيمان وبين أمرين بشأن سيدنا رسول الله ﷺ:

الأول: الاحتكام لهديه ﷺ . الثانى: الرضا به .

ثالثًا: قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ **الأحزاب/ ٢١ .**

فانظر - هداك الله - كيف وجَّهنا الله إلى حضرته ﷺ أسوة وقدوة لا نتحول عنها لغيرها أبدًا .

رابعًا: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الحشر/ ٧ .

فانظر - هداك الله - كيف أمرنا الله إجمالاً أن نأتمر بأمره ﷺ.

خامسًا: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾الحجرات/ ١ .

فانظر - هداك الله - إلى هذا النهى الصريح عن أن نقدم رأيًا لنا على الله أو على رسول الله ﷺ.

ما البديل عندكم عن السنة؟

انظر - هداك الله - إلى سيدنا رسول الله ﷺ وآيات

القرآن التى تزكى كل جانب من جوانب حياته . .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم/ ٤، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ الأنبياء/ ١٠٧، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء/ ١١٣، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم/ ٣،٤، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ الشرح/ ١، إلى آخر الآيات الكثيرة تحت هذا المعنى؛ فأى الناس قاطبة كرسول الله ﷺ كى يضع الواحد منهم رأيه . . أو اجتهاده مكان السنة؟!! أيُكم ينزل عليه الوحى ليثبت ما هو صواب عند الله، ويبطل ما غير ذلك؟! ثم إن جميع أحوال رسول الله كانت مرتبطة بالقرآن؛ فالنموذج التطبيقى للقرآن هو سنة النبى ﷺ، وبالتالى كلاهما وحى يُنفَّذ .

هل العقل يصلح بديلاً عن السنة؟!

إن عقل الإنسان يخطئ ويصيب، والدين من الله تعالى . . وليس الدين فكرًا بشريًا . . ولو كان الدين بالعقل لأصبح الناس كل يوم فى دين جديد . . والواقع يشهد لذلك؛ ففى أمريكا فى ولاية كاليفورنيا بالتحديد فى أعوام

مضت قامت مظاهرة تطالب بإباحة الإجهاض لمن تريد التخلص من الحمل من النساء، وبعدها بأسبوعين قامت مظاهرة أخرى تطالب بتحريم الإجهاض .. وهذا شأن البشر وتفكيرهم وعقولهم .. ولا يزالون مختلفين!!

هل العادات والتقاليد تصلح بديلاً عن السنة؟!

إن من يتأمل وضع العادات والتقاليد يجدها متبدِّلة ومتغيِّرة لا تستقر على حال، بل وربما استحكمت عادات سيئة فى مجتمعات كثيرة؛ مثال ذلك فى الغرب لعهد قريب - وما زالت آثار ذلك تضرب فى حياتهم المعاصرة - : التفرقة بين الأبيض والأسود، واتخاذ الخلان والأصدقاء للمعاشرة بين الرجل والمرأة بدون زواج، ونسبة الولد لأمه حين لا يعلم له أب . . .

وعندنا عادة الأخذ بالثأر فى الصعيد .. وهذه أمثلة قليلة من كثير من العادات والتقاليد السيئة التى تنتشر فى المجتمع العالمى المعاصر .. فهل نستبدل الكفر بالإيمان؟!

أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟!

انظر - هداك الله - إلى أدلتهم:

(١) يستشهدون على التشكيك فى السنة بحديث رسول الله ﷺ : "لا تكتبوا عنى"، والحديث وارد لا شك فيه، لكن هنا فقه غاب عنهم . . وهو أن هذا النهى كان فى بداية نزول القرآن الكريم ونهى رسول الله ﷺ الصحابة عن كتابة السنة؛ كى لا تختلط السنة بالقرآن، فلما تميز الأمر واتضح أمر رسول الله ﷺ بكتابة السنة فقال: "اكتب عنى فإننى لا أقول إلا حقًّا" .

ثم أليس هذا تناقضًا أن من ألغى السنة وشكك فيها يستشهد بالسنة ؟! أم هو الهوى قد سيطر على عقولهم؟!

القرآن يحذرنا من المشككين فى السنة:

احذر أيها المؤمن أن تسلك مسلك هؤلاء القوم وتصييك الجرأة على رسول الله ﷺ وسنته المطهرة، واحذر أن تكون مع من استهانوا بحضرته ﷺ واستخفوا بسنته ﷺ فنزل فيهم قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى

وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ الفرقان/ ٢٩ : ٢٧ .

والقرآن الكريم يوجهنا أن لا نسألهم وألا نأخذ منهم وألا نتلقى عنهم؛ لأنهم ليسوا بأهل ذكر ولا أهل علم فى دين الله، وإنما هى أهواء شخصية وخيال جامح استبدَّ بهم وتأويل مرفوض ترفضه قواعد اللغة ومعايير الاجتهاد . . وحسبنا أن نكون فى رحاب هدى قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل/ ٤٣ .

السنة محفوظة بأمر الله تعالى:

من المُسَلَّم به أن الله قد تعهد بحفظ كتابه وبالتبعية لكل ما يتصل به، ويشهد الواقع على مر التاريخ أن كل ما يتعلق بهذا الكتاب محفوظ بحفظه، فاللغة العربية مثلاً ظلت حية لم تندثر مع لغات كثيرة ماتت واندثرت بموت أهلها، أو توارت عن الاستعمال بضعف أهلها إلا اللغة العربية، وكان ذلك بفضل القرآن الكريم .

أيضًا بشأن السنة حيث إنها مبيِّنة ومفصِّلة لكتاب الله تعالى، وهى جزء من التشريع الذى تم بوحى من الله تعالى، فالقرآن وحى يُتلى والسُّنَّةُ وحى يُنفَّذ ويطبق . . نعم

وجهان لشيء واحد هو الإسلام هو الدين الخاتم ولا دين بعده، فإن الله يهيئ للسنة في كل زمان ومكان على مدى التاريخ أنبغ العقول لحفظها بمعايير علمية ومنهجية، واسألوا أهل التاريخ والرواية: هلاَّ توفر لأي رواية أو أي حدث ما توفر للسنة، أم أن هؤلاء لم يطلعوا على علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية؟! ألم يطلعوا على قواعد الجرح والتعديل التي كانت تراعي إجمالاً قاعدتين في غاية الأهمية الكفاءة في الحفظ والنقل، والأمانة في النقل وهكذا .. فكما أن القرآن محفوظ بأمر الله تعالى، فستظل السنة محفوظة بأمر الله تعالى وكذلك كل ما يتصل بالقرآن الكريم .

وأخيرًا .. ندعو الله تعالى لهم الهداية كي يعودوا إلى صفوف الصالحين مقتدين بسنة رسول الله ﷺ .

الرفقة يا رسول الله

فى البداية، أستسمح وأستأذن سيدنا رسول الله ﷺ أن نعيش معه خلال هذه السطور .

أستسمح لأن البيان قاصر، ولأن الباع قصير، وما كان لمثلى أن يتحدث عن صاحب المقام الرفيع سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، لولا الحب والود وواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثم أستأذنكم فى أن يكون الحديث حول معنى اللحظة التى عشتها فى جوار الحرم النبوىّ، وكيف يمكن أن تمتد حتى بعد انتقال الجسد من مكان إلى مكان آخر، فحين يكون العبد قريبًا من ربه، قريبًا من رسول الله ﷺ تتقرب إليه الأشياء . . وتتصلح له؛ حتى النفس الأمارة بالسوء إذا ما علمت أن ذنوبنا تعرض على سيدنا رسول الله ﷺ كل أسبوع، فما وجد من ذنب لأحد من أمته إلا استغفر الله تعالى له كل أسبوع، وأنه تعرض عليه أيضًا الصالحات كل أسبوع، فما وجد من ذلك لأحد من أمته إلا استبشر وحمِدَ الله تعالى . وهكذا أعمالنا حسنُها وسيئها تُعرض على

سيدنا رسول الله ﷺ ؛ إذا ما استيقن الإنسان من هذا، فإنه يفكر جادًا فى أن يكون العرض الأسبوعى الذى يصل إلى رسول الله ﷺ مما يُشرِّف من الأعمال الصالحة، وفى هذا ما يجعل كل فرد فى أمته يفكر متأملاً فى حرص هذا النبى الرءوف الرحيم على أمته فى حياته وبعد مماته، فهو دائمًا يطلب الصفح والعفو لأمته من ربه تعالى . فجزاه الله خيرَ ما جزى نبيًا عن أمته، وزاد الله فى قلوبنا الحبَّ الودود له؛ حتى نكون أهلاً لهذه العلاقة الحميمة الودود، بين سيدنا رسول الله ﷺ وأمته، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ التوبة/١٢٨ .

فى هذا ما يجعل كل فرد فى أمته - كتب الله له أن يكون خادمًا لدعوته- يعلم يقينًا أن شفقة الداعى على أتباعه وحرصه عليهم، والمحاولة الجادة الدائمة الرحيمة لإسعادهم برضا الله تعالى، وصرف خطر الذنوب والأوزار عنهم؛ طريق نجاح للداعى ودعوته .

ولما كانت أعمالنا تعرض عليه ﷺ ، فمن بين

الصالحات التى لها منزلة عالية: الصلاة والسلام عليه من أفراد أمته، فقد جعل الله تعالى ملكًا خاصًا لمهمة تبليغ النبى ﷺ صلاةَ أمته وسلامَها عليه .

فاختر أيها المؤمن، رسالتك إلى رسول الله ﷺ، ولا شك أنها ستكون الصلاة والسلام عليه؛ لتنال شرف الاستجابة لأمر من أوامر الله تعالى بدأ اللهُ فيه بنفسه، وثنَّى بملائكة قدسه، وثلَّث بالمؤمنين من إنسه وجنِّه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ الأحزاب/٥٦ .

ولعل ما سبق من تأملات فى رحاب الزيارة الكريمة لسيدنا رسول الله ﷺ - نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها - تقف بنا عند معنى من أهم المعانى التى شُغل بها المسلمون: معنى القرب منه والجوار له، والرفقة فى الدنيا والآخرة . حتى إن الحب يدفع الكثيرين إلى الإقامة بالمدينة متى وجدوا لذلك سبيلاً . فما دلالة هذا القرب؟

هذا المعنى قد سبقنا إليه الأخيار الفضلاء صحابة النبى ﷺ ، بل كان مطلبًا صريحًا أعلنوه،وفاضت به عبارات

الوجد والحب التى يصحبها الدمع الحار والإحساس العميق بفضل القرب من هذا النبىِّ العظيم المنوط به الرحمة، والشفاعة، والرأفة، الخيرُ الوافر فى الدنيا والآخرة .

وسوف يزداد حجم الاستفادة حين يمتد التأمل المتأنى فى رحاب نور الإيمان، كيف أن الصحابة - رضوان الله عليهم - تجاوزوا تمامًا حدود الدنيا إلى الآخرة، وتجاوزوا حدود القرب الجسدى إلى قرب الطاعة، والتأسى به، والاقتداء بأحواله ﷺ .

وكانت أسئلتهم فى ذلك محملة بهذه المعانى وبأكثر منها، ففى السؤال الباكى لثوبان حين تَذَكَّر أمر الدنيا والآخرة وعلم أنه فى الآخرة لا يرقى عمله لرفقة النبى العظيم، وأن هذا يحرمه من فضل الرفقة فى الآخرة، عرض أمره على النبى ﷺ وهو يتجاوز حدود هذه الدنيا الفانية العاجلة الغرور، فأنزل الله تعالى قرآنًا يهدى به كل راغب فى رفقة الحبيب النبى ﷺ ، ووصف السبيل إلى ذلك بصورة محددة وواضحة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ

ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء/ ٦٩ .

وفى السؤال الإيمانى الواعى بحقائق الفاهم بنور الله تعالى، حين سأل ربيعة بن كعب الأسلمى (أبو فراس) - من أهل الصفة - وكان من أحلاس المسجد كوصف رسول الله ﷺ له - حين قدَّم هذا الصحابى ماءَ الوضوء لرسول الله ﷺ ، وأحب النبى أن يكافئه ويكرمه، فقال له: "سلنى" . فقال: أسألك يا رسول الله مرافقتك فى الجنة . فقال له النبى ﷺ : "أوغير ذلك؟" فقال: هو ذاك . فقال له النبى ﷺ - يصف الطريق والسبيل الميسر لهذه الرفقة والتحصل عليها والفوز بها-: "أعِنِّى على نفسك بكثرة السجود" . [مسلم، ك: الصلاة/ ٧٥٤]

السجود بمعناه الممتد فى كل الأفعال والأقوال .. السجود بدلالته التى تجعل الخشوع ملابسًا لكل أفعال المؤمن .. والسجود كرمز لقمة الطاعة والخضوع لله تعالى .

وهكذا يصل العبد إلى هذه القمة بعون الله تعالى، يصل

إلى نقطة القرب ومعنى القرب .

وكم ركَّز الحبيبُ النبيُّ ﷺ على هذا المعنى : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" . [مسلم، ك: الصلاة/ ٧٤٤]

مُذْنِبٌ مثلى لو أدرك معنى القرب لما سارعت الخطى تزاحم وتدافع الركب لتقف بين يدى النبى الكريم سيدنا محمد ﷺ ، ستكون الخطى بتؤدة وعلى وَجَل يؤدى إلى الأدب، وسيعلم مذنبٌ مثلى أن هذا الجسد الذى يتحرك لاهثًا إلى هذا النبى الكريم ﷺ هو آخر ما يكون فى معنى القرب .

وحتى يتأكد لنا معنى القرب، فنظرة تأمل إلى النبى ﷺ وهو يبين لنا أن قرب الطاعة . . والتقوى، هو أعلى أنواع القرب؛ حتى إنه فاق قرب النسب، يظهر ذلك فى قول الحبيب النبى ﷺ حين قال لفاطمة - رضى الله عنها - : "يا فاطمة، اعملى فإنى لا أغنى عنكِ من الله شيئًا . . . لا يأتينى الناس بأعمالهم يوم القيامة وتأتونى بأنسابكم" .

ويقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ المؤمنون/ ١٠١ .

ويصف القرآن دعوة سيدنا إبراهيم لأن تظل الرسالة فى ذريته : ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة/ ١٢٤ . ويقول النبى ﷺ : "أنا جدُّ كل تقى" ، [كشف الخفا : ١/ ٢٣٤] ، "سلمان منا آل البيت" . [المستدرك: ٣/ ٥٩٨]

ويؤكد الحديث القدسى أن نسب الطاعة أقوى من أى نسب آخر، قال الله تعالى: "أيها الناس إنى جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا: قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم إلا أن تقولوا: فلان أغنى من فلان، وفلان أقوى من فلان" .

من هنا يظهر لمذنب مثلى أن سبيل القرب إنما يكون بالطاعة والتقوى .

كانت هناك أجساد كثيرة قريبة من رسول الله ﷺ ، لكن الفائز منها بمعنى القرب من تحقق فيهم وصف الطاعة والتقوى والمتابعة والتأسى والتأدب والتخلق بخلقه ﷺ . ومن لم يتحقق فيه هذا الخلق ما فازوا بمعنى القرب، وما شفع لهم قرب أجسادهم منه ﷺ ، وإفراد المشركين والمنافقين فى حياتهم مثل واضح وشاهد قوى على ذلك .

وكانت هناك أجساد أخرى لم تكن بالمدينة زمن النبى

ﷺ ، لكن وصف الطاعة تحقق فيها؛ فتأتى لها معنى القرب، تأتى لها معنى القرب لدرجة أن ينبه النبى ﷺ على منزلتهم؛ ويرشدنا سيدنا عمر رضى الله عنه أن يسأل هذا القريب البعيد أن يستغفر له ، نعم سيدنا عمر - وهو من هو فى القرب - يسأل أويس القرنى من اليمن حين يأتى مع أمداد اليمن ووفودها يسأل عمر رضى الله عنه أن يستغفر له كوسيط رسول الله ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

ولا يزال الحبيب النبى ﷺ ينبه الأمة إلى معنى القرب؛ كى نفقه ديننا ونفهم، فيقول ﷺ : " أقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا" . [الترمذى، ك: البر والصلة/ ١٩٤١]

وكما أن معنى القرب مقترن بالطاعة والتأسى برسول الله ﷺ فإن معنى البعد مقترن بالمعاصى والمخالفات . ولقد أخبر الحبيب النبى ﷺ أن هناك أناسًا من المسلمين تطردهم الملائكة وتبعدهم عن الحوض لأنهم ابتدعوا فى دين الله تعالى ما ليس منه .

مذنبٌ مثلى حين يفقه ذلك سيتسامى أثناء الزيارة، وأثناء الوقوف بين يدى هذا النبى العظيم ﷺ ، يتسامى عن

مطالب الجسد، ويشتغل بما أمر الله به، وأوصى به الحبيب المصطفى ﷺ من الصلاة والسلام عليه والدعاء له بالوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة؛ لا لأن النبى ﷺ فى حاجة إلى دعائنا، بل امتثالاً لأمر النبى ﷺ ورغبة فيما وراء ذلك من خير للعبد من ربه تعالى .

وكثرة الصلاة عليه، والتأدب أمامه، والاستشفاع به وسؤال الله تعالى، فيه تمام الغنى عن النزول بالزيارة إلى ما دون ذلك .

وكما كان النبى ﷺ حريصًا على أمته . . حريصًا عليهم من المعصية والشرك والكفر والخلاف فعلى المؤمن التأسى برسول الله فى ذلك، فيكون حريصًا على إخوانه المسلمين .
وليكن ديننا ولتكن عبادتنا حسب ما ورد فى الشرع: "القرآن والسنة" ، ففيه الغنى عن أقوال البشر، وهل استنفدنا كل الشرع وما ورد فيه حتى نتجاوزه إلى غيره؟!

وحتى إن حدث هذا فليس لنا أن نتجاوزه . ليس هذا فحسب بل إن الخروج من خلاف العلماء أمر أجمع عليه الفقهاء وأهل العلم فضلاً عما فى ذلك من جمع لكلمة المسلمين .

ومما دار بخلدى من تأملات فى جوار النبى الكريم ﷺ عدم التعويل على الأحوال الخاصة فى الدعوة، مع عدم إنكارها على أصحابها؛ فهى أحوال تخص صاحبها وحسابه على الله تعالى إن صدقًا أو غير ذلك وإنما التعويل على الشرع الوارد، ويا حبذا المجمع عليه؛ فالناس فى حاجة إلى الوضوح والإقناع، وهذا أسلوب القرآن فى الدعوة: الوضوح والإقناع بالأدلة المتنوعة والشواهد الواضحة، بعيدًا عن الغموض والطلاسم والغيبيات التى لها طابع الإبهام والغرابة التى تورث العقل تحيرًا .

ونحن نؤمن بالغيب، وبالضبط بالأمور التى حددها الله تعالى فى القرآن وجعلها جزءًا من إيمان المؤمن؛ أما الأحوال الخاصة وما يتصل بها من أمور غيبية فأمرها إلى الله تعالى، فليس من الحكمة تكليف الناس بها .

فالأمة مكلفة بالكتاب والسنة، وبهما يكون معنى القرب . . بحياتهما فى علم الأمة وعمل الأمة، مع الفقه فى دين الله عز وجل .

فيك صفة من رسول الله ﷺ !!

في حوار مع شارد عن ربه، استحوذ عليه الشيطان، واستبد به هواه؛ فأساء إلى أهله، بل إلى أقرب الناس إليه، وطلبوا نصحًا له لعله يعود إلى صوابه؛ وذهب إليه جمع من الصالحين الذين يحيطون بالعائلة وأدلى كل منهم بدلوه، وقالوا له من كلام الوعظ والحلال والحرام ما شاءوا، غير واحد منهم التزم الصمت، وكان رد الفعل عند الرجل المكابرة والإصرار إلى أن طردهم . . وهم في طريق الباب للخروج قال الرجل الذي جلس صامتًا طول الجلسة لصاحب الدار الذي طردهم منها هامسًا في أذنه: يا فلان فيك صفة من صفات رسول الله ﷺ . ووقعت الكلمة في قلب الرجل العاصي وعقله ونزل من كبريائه وإصراره وغفلته .

دارت رأسه وأخذ يفكر: أي صفة بي من صفات رسول الله ﷺ معقول؟! وأنا على هذه الحالة . . . وسأل عن الرجل الذي قال له هذه الكلمة . . وذهب إليه وسأله: أي صفة بي من صفات رسول الله ﷺ ؟! فقال له: أنا الآن

على موعد بالمسجد، تعال وبعدها نجلس سويًا أوضح لك الأمر . فذهبا إلى المسجد وصليا واستمعا لمجلس علم وقرآن وذكْر، وكان لمجلس العلم أثر، ولمجلس القرآن أثر، ولمجلس الذكر أثر، وأصبح الرجل مهيئًا لسماع الإجابة وأكثر تشوقًا إليها، فقال له: الوصف الذى فيك من صفات الرسول ﷺ هو الصدق؛ فأنت رجل لم تخدعنا، ولم تراوغنا بل قلت ما عندك وكنت واضحًا صريحًا، والصدق من صفات رسول الله ﷺ . فبكى الرجل وكانت فاتحة خير لصلاحه .

إن مَن دخل إلى الرجل فى منطقة عصيانه (المنطقة المظلمة) فشل فى الوصول إلى غايته؛ فى حين أن من دخل من المنطقة المشرقة (منطقة الخير) نجح مع الرجل .

فى حالات كثيرة قد لا يفيد الوعظ المباشر، ويكون الأنفع الدخول إلى الشخصية من بابها الذى تتأثر به، ويكون البحث عن صفة طيبة فى الإنسان يزكيها الداعى وينميها يكون لها فعل السحر فى إصلاح الحال .. وكما أن الترهيب باب من أبواب الموعظة فالترغيب باب عظيم لها .

وكم أتأمل عظمة رسول الله ﷺ فى حواره مع عَدَّاس بعد أن طرده أهل الطائف وسلطوا عليه عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان، وجلس يستظل بحائط بستان لابنى ربيعة، فبعثا إليه بعنقود عنب مع أجيرهما عدَّاس، فوضعه عدَّاس بين يديه ﷺ ودعاه لأن يأكل فمدَّ النبى ﷺ يده وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال عدَّاس: هذا كلام غريب لا يعرفه أهل هذه البلاد. فقال النبى ﷺ: "ومن أى البلاد أنت؟" فقال عدَّاس: من نينوى. فقال النبى: "بلد الرجل الصالح يونس بن متّى" فقال عدَّاس: أوَ تعرفه؟ فقال الرسول: "نعم إنه أخى فهو نبى وأنا نبى" فأقبل عدَّاس على رسول الله مقبّلاً رأسه ويديه.

انظر رعاك الله كيف أن رسول الله ﷺ لم يشتغل بذم من آذوه وطردوه، بل اشتغل بما يزكى النفوس.

الدين ليس صناعة بشرية

فى إطار الدعوة لإعمال العقل وإيقاظ الوعى للتغلب على الجمود الذى نال من أُمَّتِنا وأورثنا التخلف عن ركب الحضارة، تتعالى الصيحات لإطلاق العنان للعقل فى كل شىء، وبدلاً من أن نرى جهد العقل فى معركة الحضارة العلمية التى هى مدينة بوجودها للعقل البشرى، بما أنجزه من اكتشافات ومخترعات جعلت الإنسان يتسيد ويسيطر على الطبيعة، بدلاً من ذلك رأينا هجومًا على الدين باسم حرية الفكر وإعمال العقل لدرجة وصلت إلى محاولة تغيير ثوابت الدين، مثل إمامة المرأة للرجال فى صلاة الجمعة، ودعوات لمساواة المرأة بالرجل فى الميراث، ودعوات بإباحة المثلية الجنسية، وحق الطبيب فى إنهاء حياة المريض الميئوس من شفائه . . . إلخ .

وهذا يجعلنا نتساءل:

* هل من حق البشر التغيير فى الدين؟!

* هل الدين خاضع للتطور مثل باقى مظاهر الحياة؟!

* هل الدين صناعة بشرية؟

* وهل المرجعية الدينية تكون للعقل أم لخالق العقل؟!

* وما موقع الاجتهاد فى هذا الإطار؟!

أولاً: من المهم أن نؤكد أن الإسلام عَظّم من قيمة العقل وعدَّه من أهم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان، ولقد أولى الإسلام اهتمامًا خاصًا بنعمة العقل، سواء من حيث العناية بها والمحافظة عليها، أو من حيث توجيهها وإرشادها إلى ما يفيد . . .

فمن ناحية المحافظة عليها: حرّم الإسلام كلَّ ما يضرُّ بها أو يمسها بسوء، مثل شرب الخمر، والمخدرات، والمسكرات، وفى هذا لون من الاهتمام والعناية بنعمة العقل . ومن ناحية توجيهها فقد جاء القرآن الكريم هاديًا للعقل لكى لا يضل، وبخاصة فى مسائل ما وراء الطبيعة من أمور الغيب التى تعجز وسائل الإدراك البشرى عن التعامل معها أو بحثها .

ومن تعظيم الإسلام لنعمة العقل أن جعله مناط التكليف

والخطاب، ولك أن تتأمل عشرات الآيات التى بها دعوة صريحة لإعمال العقل فى فهم ما كلف به، وفيما خلق الله من مخلوقات؛ لترى فيها دليلاً على قدرة الخالق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ . . . إلى أن قال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ آل عمران/ ١٩١ .

وكثيرًا ما يرد فى القرآن الكريم: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُون . . ﴾ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ونحو ذلك .

ويقصد بالعقل فى السياق القرآنى الفهم والتمييز، فهو الضابط لتصرفات الإنسان .

*** مسائل الغيب فى نظرالمنهج العلمى:**

إذا كان الإسلام قد أطلق العنان للعقل فى مسائل الماديات فى كل ما يخضع للتجربة، فإن مسائل الغيب لم يجعلها الإسلام مجالاً للبحث العقلى؛ لأن أدوات البحث حينئذ غير كافية . . ناقصة . . وبالتالى ستكون النتائج غير صحيحة ومضللة .

والعلم نفسه يعترف بأن مسائل الغيب ليست موضوعًا للبحث العلمى، ويزيد هذه الحقيقة تأكيدًا تجربة البشرية فى بحثها الدائب فى مسائل ما وراء الطبيعة .

إن البشرية دائمة الاختلاف حول مسائل الغيب والأخلاق، واجتهدت البشرية للوصول إلى ميزان يفصل بين الحق والباطل . . . واختلفت ولا يزال الاختلاف إلى اليوم بين الفلاسفة فى مسائل الأخلاق . . وفى التمييز بين الحق والباطل، وتقوم أدلة عقلية لرأى ما وتهدمها أدلة عقلية أخرى . . وهكذا .

حتى من زعم أنه اخترع مقياسًا للفصل بين الحق والباطل، فإن التجربة هدمت آراءه، ولنأخذ على ذلك مثلاً : "ديكارت" لقد زعم أنه اخترع منهجًا يفصل بين الخطأ والصواب، وتهاوى منهج ديكارت وهدمت التجربة آراءه فى الجانب المادى، وأما آراؤه المعنوية فقد خالفه فيها أساطين الفكر والفلسفة، وبقيت مسائل ما وراء الطبيعة (الغيب) ظنية واحتدم الخلاف فيها .

إن الحضارة المادية مدينة للعقل البشرى . . . فللعقل

فى جانب المادة أن يبتكر .. وأن يخترع .. . وأن يجرب .. فهذا مجاله، أما مسائل ما وراء الطبيعة (الغيب) فالعقل يعجز عن الوصول لليقين فيها . . . ومن هنا جعل الله الدين هاديًا للعقل فى مسائل الأخلاق (الخير والفضيلة) والدين . . .

*** موقع الاجتهاد فى الدين:**

المجتهد يقدح ذهنه فى دائرة فهم النص والاستنباط منه والقياس عليه، لكنه لا ينفصل عنه ولا ينقضه ولا يأتى بضده، كما أن النص إذا جاء صريحًا فى الحكم من قرآن أو سنة فلا يجوز معارضته، وإنما الاجتهاد فى تكييف واقع المسألة على هذا النص . وهذا هو المستفاد من سؤال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه إلى اليمن:

" كَيْفَ تَقْضِي؟ "

فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ .

قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟" .

قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلا آلُو (أى لا أترك الاجتهاد ولا أُقَصِّر فيه).

فربَّت رسول الله ﷺ على صدر معاذ - والصدر وعاء العلم والفقه - قائلاً:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ". [أبو داود، ك: الأقضية/ ٣١١٩]

* الإسلام لم يُعْطِ سلطة التغيير فى الدين لأحد، ولا للرسول ﷺ:

لقد شدد الإسلام على صيانة الدين عن التغيير أو التبديل، وليس لأحد هذه السلطة، ولا حتى النبى ﷺ، فهو يبلغ ما أنزل إليه من الله عز وجل دون زيادة ولا نقصان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ المائدة/ ٦٧.

وقال تعالى فى إجابة الكفار الذين طلبوا من رسول الله

ﷺ تبديل بعض الآيات وتغييرها : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ يونس/ ١٥ .

فليس لعلماء الدين فى الإسلام أن يغيِّروا شيئًا ؛ لأن الدين من الله، والمرجعية فى الدين لا تكون لغير الله عز وجل ؛ لأن الله هو الأعلم وهو أحكم الحاكمين، الخبير البصير، صاحب القدرة المطلقة .

لقد أنزل الله الدين هاديًا للعقل ومرشدًا له فى أمور الغيب ومسائل الأخلاق والتشريع .

وعلى العقل أن يجتهد فى أداء دوره فى فهم رسالة الله إليه، والوعى بما فيها، وهذا مقام التسليم، التسليم للأعلم ولصاحب القدرة التى لا حد لها، وإن كان أحدنا يسلم أمره لمن هو أكثر منه علمًا وخبرة، فإذا سُئِل أحدنا : لماذا تأخذ هذا الدواء؟ يجيب: لأن الطبيب وصفه لى . . . فكيف بنا لا نسلم لله الخالق؟!

*** العقل والغيب والإيمان:**

لما كانت مسائل الغيب فوق قدرة العقل؛ أمرنا الله عز وجل أن نؤمن بها، وإيماننا بها نابع من إيماننا بطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى؛ فالله سبحانه وتعالى لا يستشير الإنسان ولا يحتكم إليه فى أى قاعدة من القواعد التى شرعها؛ فالله هو الكمال المطلق، كل الكمالات له، مُنَزَّهٌ عن النقص، ولا يتأتى عقلاً أن تحتكم الكمالات إلى الكائن المتصف بالنقص، وهو الإنسان!! .

وكل من توهم ذلك فإنه لا يقدر الله حق قدره، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما أرسل الله الرسالات؛ لتتبع دون حرج يحوك فى الصدر أو شك يجول فى النفس، وينبغى للإنسان أن يعرف حدَّه مع ربه فلا يتعالم على الله، ولا يقدم رأيه ولا اقتراحه على هدى ربه، ونحن أمام آيات من القرآن تؤكد هذه الحقيقة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾ الحجرات/١ .

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء/ ٦٥

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب/ ٣٦ .

وهذا فى جوهره هو معنى الإسلام: إسلام الوجه لله، إسلام العقل لله، إسلام القلب والنفس لله، أن تكون كل الأنفاس والحركات والسكنات لله قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ الأنعام: ١٦٣-١٦٢ .

لقد جاء الوحى هاديًا للعقل فى الأمور التى لا يتأتى للعقل أن يسلك سبلها أو يقتحم حماها، وهذه الميادين هى الدين، والدين ليس رأيًا بشريًّا، إنما هو من الله، إنه تنزيل من حكيم حميد، ولو كان الدين بالعقل لأصبح الناس كل يوم فى دين جديد، بل لأصبح لكل فئة دين يناسب عقلها

ومستواها الفكرى !

أما الطبيعة والكون من أرض وفضاء وجبال وبحار، من كواكب وأقمار وشموس، من مادة وطاقة، فكل ذلك قد جعله الله مجالاً للعقل، وحثَّ العقل على أن يجتهد فى اكتشاف سنن الله الكونية وقوانين الطبيعة؛ ليرى صنع الله الذى أتقن كل شىء؛ ولكى يتأتى له أن ينتفع بكل ما سخر الله له فى السماء والأرض .

* هل الدين خاضع للتطور مثل مظاهر الحياة الأخرى؟:

التطور هو التغير من حال إلى حال، وهو تغير مستمر دائم، إنه يعبر عن حركة الحياة، والتطور الفكرى أنجز حضارة مادية عظيمة، أما فى جانب الدين، فلا مكان لتطور الدين للأسباب التالية:

* أولاً: أن الدين ليس رأيًا بشريًا حتى يصيبه التطور، إنما هو من الله .

* ثانيًا: أنه لما كان الدين من الله، والله سبحانه مُنَزَّه

عن النقص؛ فلا تغير فى الدين ولا تطور .

* ثالثًا : أن فكرة التطور لو حدثت فى الدين لأدت إلى استبدال الدين بآراء البشر وأهوائهم، ولتحول الدين من إلهى قدسى إلى بشرى ناقص متغير، وخذ مثالاً : فى العقيدة نقول : الله واحد، فهل غدًا نقول : اثنان أو ثلاثة أو نصف، بحسب ما نراه؟

* وهل بحسب فكرة التطور تتبدل الأخلاق والقيم فتكون الفضائل رذائل؟!

* فدين الله عز وجل بعيد عن فكرة التطور؛ لأن فكرة التطور خاصة بالشأن البشرى وليس بالشأن الإلهى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ الأنعام/ ١١٥ .

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾

واسجد واقترب

أتأمل هذه الحياة المليئة بالمتناقضات وعبث الإنسان: فظلم هنا وفقر هناك، ودمار وخراب، وطغيان وإفساد . . . وقد ألمَّ الخوف بالجميع: القويّ قبل الضعيف، والغالب قبل المغلوب . . . وأفسد الإنسانُ ما أولاه الله من نعم فلوَّث البيئة وأفسد طعامه وشرابه وهواءه .

لقد كانت الملائكة قلقة على مستقبل الإنسان فى هذه الأرض، حين استوضحت من ربها فسألت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ البقرة/ ٣٠ . وكان الجواب من العليّ الأعلى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

لقد كرَّم الله الإنسان بين المخلوقات التى خلقها فى هذا الكون وجعلها مسخَّرة له قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ لقمان/ ٢٠ .

وأخبر القرآن أن هذه المخلوقات سابقة فى وجودها

على الإنسان، لقد مرت أزمان على الكون بمخلوقاته المسبحة الطائعة ولم يكن للإنسان ذكر ولا وجود، ثم خلق الله الإنسان وجعل له ذكرًا وجعل له وجودًا، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ الإنسان/ ١ .

وتأتي الآية الثامنة عشرة من سورة الحج؛ لتكشف لنا عن موقع الإنسان بين هذه المخلوقات والكائنات .

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ الحج/١٨ .

والآية تقرر أن كل الكائنات بأنواعها ساجدة لله عز وجل دون أن يتخلَّف منها كائن، أو يشذ عن موكب السجود شيء منها وسبحانه الله القائل: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء/ ٤٤ .

إلا أن أمر السجود بشأن الإنسان كان عجبًا، إن الإنسان وحده - من بين كل هذه المخلوقات والكائنات -

هو الذى انقسم إلى فريقين: فريق كان مع موكب السجود وكان من الخاشعين الطائعين، فاستحق التكريم من الله عز وجل ، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ، وفريق آخر من الناس خرج عن موكب السجود وخالف ما عليه الكائنات فأعرض وعصى، وتجبَّر وطغى؛ فحق عليه العقاب واستحق العذاب، وهذا الفريق هو المقصود فى قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ ، ثم يقول ربُّنا معقِّبًا: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ وفى هذا تحذير شديد للإنسان من الوقوع فى حبائل الشيطان ومخالفة الرحمن والشذوذ عن موكب السجود لله .

ومن الحقائق القرآنية المتصلة بهذا المعنى أن الكائنات التى سخَّرها الله للإنسان تكون فى موقف الرفض والبغض للإنسان إذا كان عاصيًا لربه، فالعاصى والمخالف لربه لا تحبُّه الأرض التى يمشى عليها، ولا الماء الذى يشربه، ولا الطعام الذى يأكله، ولا السماء التى يستظل بها، يشهد لذلك قوله تعالى عن المشركين ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ الدخان/ ٢٩ .

فى مقابل أن الإنسان الطائع لربه يبكى عليه موضع عمله

الصالح من الأرض، ومصعد عمله فى السماء، كما أخبر الحبيب المصطفى صلى لله عليه وسلم حين مرت عليه جنازة فقال: "مستريح ومستراح منه" . فقالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟ فقال: "العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" . [البخارى، ك: الرقاق ٧/ ١٨٠]

*** ما المقصود بالسجود؟**

لقد عبَّر الله عن طاعة الكائنات واستسلامها لخالقها بأعلى منزلة فى الطاعة، وهى السجود . والسجود إنما هو سلوك المؤمنين المهتدين، وهو القمة التى يبلغها الإنسان فى علاقته بالله عز وجل ، إنه الاستسلام التام والخضوع الكامل، والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى، وقد مدح الله به المؤمنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ السجدة/ ١٥ .

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم/ ٥٨ .

وقوله تعالى فى صفة عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ الفرقان/ ٦٤ .

ووصف المؤمنين بأن النور الذى يعلو وجوههم هو من أثر السجود، فقال تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الفتح/ ٢٩ .

ووُصِفَ كثيرٌ من الصحابة والتابعين بأنه كان ساجد القلب، ووُصِفَ خُلَّص العلماء بالسجود، قال الله تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ الزمر/ ٩ .

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى فراس ربيعة ابن كعب الأسلمى خادم رسول الله ﷺ وهو من أهل الصُّفَّة رضى الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته .

فقال ﷺ : "سلنى" .

فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة .

فقال ﷺ : "أو غير ذلك؟"

قلت: هو ذاك .

فقال ﷺ : "فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود" .

[مسلم٧٤٥ فضل السجود]

فالسجود - إذن - من كبريات الوسائل لترويض النفس كى تتزكى، وهو - بذلك - من الوسائل التى توصل إلى الجنة .

وفى هذا المعنى روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الرحمن، ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"عليك بكثرة السجود؛ فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ عنك خطيئة" .

[صحيح مسلم، ك: الصلاة ٧٥٣]

والسجود الذى يريده رسول الله ﷺ فى هذه الأحاديث لا يقتصر على مجرد السجود الحسى المعروف، وإنما هو - مع حركة السجود الحسى - يشمل المعنى العميق فى النفس الذى تتمثل فيه جلال الله وعظمته ورحمته ووده، ويتمثل فيه سجود القلب والعقل، بمعنى الخضوع لهذا الجلال وهذه العظمة، والانقياد المطلق، والاستجابة

الكاملة لهدى الله سبحانه، فإذا كان السجود بهذا المعنى، كان بذلك سبيلاً إلى الجنة بل إلى أكثر من الجنة، وهو القرب من الله عز وجل .

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ العلق/ ١٩ .

ويقول النبى ﷺ فى هذا المعنى: "أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد" . [مسلم، ك: الصلاة/ ٧٤٤]

ويتنافى مع السجود لله تقديم هوى النفس أو العقل على أمر الله سبحانه، وكل سلوك من هذا القبيل إنما هو لون من الكبرياء والإبليسية التى تعود إلى كبر إبليس حين أمره الله بالسجود لآدم، فرأى نفسه وقارن بعقله بين أصل خلقته وأصل خلقة آدم، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ الأعراف/ ١٢ .

وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الإسراء/ ٦١ .

وغفل إبليس عن أن السجود إنما هو امتثال لأمر الله، ولا يتعلق الأمر بأصل خلقة هذا ولا ذاك، فالله قد أمر، وليس بعد أمر الله قول ولا مناقشة ولا تَعَالُمٌ على الله عز وجل .

وفى هذا المعنى يقول ربنا جل جلاله:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء/ ٠٦٥

ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب/ ٣٦ .

وإذا كان لإبليس خلفاء من بنى آدم فهم هؤلاء الذين يحاولون أن يقوموا بدور إبليس فى المجتمع الإنسانى، إنهم هؤلاء الذين يشككون فى الوحى الإلهى، إنهم هؤلاء الذين يحاولون أن يَزِنُوا الوحى الإلهى بميزان العقل فيرفضوا ويقبلوا ويؤولوا ما شاء لهم الهوى، هؤلاء سجدوا للعقل ولم يسجدوا لله، وسبيل المؤمنين إنما هو السجود لله وحده، وذلك سبيل الراسخين فى العلم؛ إذ الراسخون فى العلم هم دائمًا مؤمنون بالله ساجدون لأمر الله، وإليهم تشير الآية الكريمة:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو

رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ الزمر/ ٩ .

وختامًا: لا ملاذ للبشرية إلا أن تسجد لمن خلقها فسواها، وأسبغ عليها نعمه ظاهرة وباطنة، ولا نجاة للإنسان إلاَّ بتحقيق معنى السجود لله فى حياته كلها، الاستسلام الكامل لله، الاستجابة الحقيقية لهدى الله .

وحسبنا قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ آل عمران ١٧٢، ١٧٣ .

وإلا فجزاء الإعراض عن موكب السجود وبيئة الأنوار ما تعيشه البشرية الآن من طغيان وإفساد وتناقضات، ألم يحذرنا الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ طه/ ١٢٤ .

يا رب

بك أستجير(*)

بِكَ أَسْتَجِيرُ ومَنْ يُجِيرُ سِواكَا
فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِى بِحِماكَا
إِنِّى ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قِوَى
ذَنْبِى وَمَعْصِيَتِى بِبَعْضِ قِواكَا
أَذْنَبْتُ يا رَبِّ وَآذَتْنِى ذُنُو
بٌ ما لَها مِنْ غافِرٍ إِلَّاكَا
دُنْيايَ غَرَّتْنِى وَعَفْوُكَ غَرَّنِى
ما حِيلَتِى فِى هذِهِ أَوْذاكَا
لَوْ أَنَّ قَلْبِى شَكَّ لَمْ يَكُ مُؤْمِنًا
بِكَرِيمِ عَفْوِكَ ما غَوَى وعَصَاكَا

(*) القصيدة لفضيلة الشيخ / إبراهيم على بديوى (رحمه الله تعالى) شيخ علماء الإسكندرية فى أوائل الستينات من القرن العشرين؛ وهى من عيون الأدب الإسلامى، وتلتقى معانى القصيدة مع دلالات الملاذ الآمن؛ فرأيت إتمامًا للموعظة أن أذيله بها.

* * *

يا مُدْرِكَ الْأَبْصارِ والْأَبْصارُ لا
تَدْرِى لَهُ ولِكُنْهِهِ إِدْراكَا [١]
أَتَراكَ عَينٌ والعُيونُ لَها مَدًى
ما جاوَزَتْهُ ، ولا مَدًى لِمَداكَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِى تَراكَ فَإِنَّنِى
فِى كُلِّ شَىْءٍ أَسْتَبِينُ عُلاكَا
يا مُنْبِتَ الْأَزْهارِ عاطِرَةَ الشَّذَا [٢]
هذا الشَّذَا الْفَواحُ نَفْحُ شَذَاكَا
يا مُرْسِلَ الْأَطْيارِ تَصْدحُ [٣] فِى الرُّبا [٤]
صَدَحَاتُها إِلْهامُ مُوسِيقاكَا

(١) هذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] .

(٢) الشذا : حدة ذكاء الرائحة .

(٣) تصدح : تصيح .

(٤) جمع ربوة وهى : ما ارتفع من الأرض .

يا مُجْرِىَ الْأَنْهارِ : ما جَرَيانُها
إِلَّا انْفِعالَةُ قَطْرَةٍ لِنَداكَا

* * *

رَبَّاهُ هَا أَنَذَا خَلُصْتُ مِنَ الْهَوَى
واسْتَقْبَلَ الْقَلْبُ الْخَلِىُّ هَوَاكَا
وتَرَكْتُ أُنْسِى بِالْحَياةِ وَلَهْوِهَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْأُنْسِ فِى نَجْوَاكَا
وَنَسِيتُ حُبِّى واعْتَزَلْتُ أَحِبَّتِى
وَنَسِيتُ نَفْسِى خَوْفَ أَنْ أَنْسَاكَا
ذُقْتُ الْهَوَى مُرًّا وَلَمْ أَذُقِ الْهَوَى
يارَبِّ حُلْوًا قَبْلَ أَنْ أَهْوَاكَا
أنا كُنْتُ يا رَبِّ أَسِيرَ غِشَاوَةٍ
رَانَتْ عَلَى قَلْبِى فَضَلَّ سَنَاكَا[1]
والْيَومَ يا رَبِّ مَسَحْتُ غِشاوتِى
وبَدَأْتُ بِالْقَلْبِ الْبَصِيرِ أَرَاكَا

---

(١) ضوءك ونورك .

يا غَافِرَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وقَابِلًا
لِلتَّوبِ : قَلْبٌ تائِبٌ نَاجَاكَا
أَتَـرُدُّهُ وتَـرُدُّ صـادِقَ تَـوْبَـتِـى
حَاشَاكَ تَرْفُضُ تَائِبًا حَاشَاكَا
يا رَبِّ جِئْتُكَ نادِمًا أَبْكِى عَلَى
مـا قَـدَّمَـتْـهُ يَـدَاىَ لا أَتَـبَـاكَـى
أنا لَسْتُ أَخْشَى مِنْ لِقاءِ جَهَنَّمٍ
وعَـذَابِـهـا لَـكِـنَّـنِـى أَخْـشَـاكَـا
أَخْشَى مِنَ الْعَرْضِ الرَّهِيبِ عَلَيْكَ يا
رَبِّ وأَخْـشَـى مِـنْـكَ إِذْ أَلْـقَـاكَـا

* * *

يا رَبِّ عُدْتُ إِلَى رِحابِكَ تائِبًا
مُسْتَسْلِمًا مُسْتَمْسِكًا بِعُرَاكَا
مَـالِـى وَلِـلْأَغْـنِـيـاءِ وأَنْـتَ يـا
رَبِّ الْـغَـنِـىُّ ولا يُـحَـدُّ غِـنَـاكَـا

مَالِى ولِلْأَقْوِيَاءِ وأَنْتَ يا
رَبِّى وَرَبَّ النَّاسِ ما أقْوَاكَا
مَالِى وأبْوابُ الْمُلُوكِ وأَنْتَ مَنْ
خَلَقَ الْمُلُوكَ وَقَسَّمَ الْأَمْلَاكَا
إنِّى أَوَيْتُ لِكُلِّ مَأْوَى فِى الْحَيَا
ةِ فَمَا رَأَيْتُ أَعَزَّ مِنْ مَأْوَاكَا
وتَلَمَّسَتْ نَفْسِى السَّبِيلَ إِلَى النَّجَا
ةِ فَلَمْ تَجِدْ مَنْجًا سِوَى مَنْجَاكَا
وبَحَثْتُ عَنْ سِرِّ السَّعادَةِ جَاهِدًا
فَوَجَدتُ هذا السِّرَّ فِى تَقْوَاكَا
فَلْيَرْضَ عَنِّى النَّاسُ أَوْ فَلْيَسْخَطُوا
أنا لَمْ أَعُدْ أَسْعَى لِغَيرِ رِضَاكَا
أَدْعُوكَ يا رَبِّ لِتَغْفِرَ حَوْبَتِى (١)
وَتُعِينَنِى وَتَمُدَّنِى بِهُدَاكَا

---

(١) الحوبة : الإثم .

فاقْبَلْ دُعائِيَ واسْتَجِبْ لِرَجَاوَتِى (١)
ما خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَا

* * *

يا رَبِّ هذا الْعَصْرُ أَلْحَدَ عِنْدَمَا
سَخَّرْتَ يا رَبِّ لَهُ دُنْيَاكَا
عَلَّمْتَهُ مِنْ عِلْمِكَ النَّوَوِيِّ مَا
عَلَّمْتَهُ فَإذا بِهِ عَادَاكَا
مَا كادَ يُطْلِقَ لِلْعُلَا صارُوخَهُ
حَتَّى أَشَاحَ بِوَجْهِهِ وَقَلاكَا (٢)
واغْتَرَّ حَتَّى ظَنَ أَنَّ الْكَوْنَ فِى
يُمْنَى بَنِى الإِنْسانِ لَا يُمْنَاكَا
أَوَ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمِيعَ مَا
وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدَاهُ مِنْ نِعْمَاكَا ؟

---

(١) رجاوتى : رجائى .

(٢) القِلى : البُغض وقلاه أى أبغضه .

أَوَ مَا دَرَى الْإِنسانُ أَنَّكَ لَوْ أَرَدْ
تَ لَظَلَّتِ الذَّرَاتُ فِى مَخْبَاكَا
لَوْ شِئْتَ يا رَبِّ هَوَى صَارُوخُهُ
أَوْ لَوْ أَرَدْتَ لَما اسْتَطاعَ حِرَاكَا[١]
يا أَيُّها الْإِنْسانُ مَهْلًا وَاتَّئِدْ
واشْكُرْ لِرَبِكَ فَضْلَ مَا أَوْلَاكَا
وَاسْجُدْ لِمَوْلَاكَ الْقَدِيرِ فَإِنَّمَا
مُسْتَحْدَثاتُ الْعِلْمِ مِنْ مَوْلَاكَا
اللَّهُ خَصَّكَ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ
وبِنِعْمَةِ الْعَقْلِ الْبَصِيرِ حَبَاكَا
أَفَإِنْ هَداكَ بِعِلْمِهِ لَعَجِيبَةٌ
تَزْوَرُّ[٢] عَنْهُ وَيَنْثَنِى عِطْفَاكَا[٣]

(١) قد حدث ذلك حينما احترق الصاروخ الأمريكى الشهير على مرأى ومسمع من الملايين .

(٢) ازور عن الشيء أى : عدل عنه وانحرف .

(٣) عِطفا الرجل أى : جانباه من لدن رأسه إلى وَرِكَيْه . وثَنَى عِطْفَهُ أى : أعرض عنه .

إنَّ النَّوَاةَ وَلِكْتُرُونَاتِ[١] الَّتِى
تَجْرِى بَرَاهَا اللَّهُ حِينَ بَرَاكَا
مَا كُنْتَ تَقْوَى أَنْ تُفَتِّتَ ذَرَّةً
مِنْهُنَّ لَوْلَا اللَّهُ قَدْ قَوَّاكَا

* * *

كُلُّ الْعَجائِبِ صَنْعَةَ الْعَقْلِ الذِى
هُوَ صَنْعَةَ اللَّهِ الَّذِى سَوَّاكَا
وَالْعَقْلُ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ شَيْئًا إذا
مَا اللَّهُ لَمْ يَكْتُبْ لَهُ الإِدْرَاكَا[٢]
لِلَّهِ فِى الْآفَاقِ آيَاتٌ لَعَـ
ـلَ أَقَلَّها هُوَ مَا إِلَيْهِ هَدَاكَا

(١) يشير إلى الإلكترونات وهى الأجسام ذات الشحنة السالبة التى تدور حول النواة فى الذرة ، ويقابله عدد مساو من الأجسام ذوات الشحنة الموجبة داخل النواة وتسمى « البروتونات » .

(٢) لعل هذا المعنى مقتبس من قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: الآية ٤٦] .

وَلَعَلَ مَا فِى النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ
عَجَبٌ عُجابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا[١]
وَالْكَوْنُ مَشْحُونٌ بِأَسْرارٍ إذا
حاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَها أعْياكَا
قُلْ لِلطَبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى[٢]
يا شَافِىَ الْأَمْراضِ : مَنْ أَرْدَاكَا ؟
قُلِ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِىَ بَعْدَما
عَجزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَا ؟
قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لا مِنَ عِلَّةٍ
مَنْ بِالْمَنَايَا يا صَحِيحُ دَهَاكَا ؟
قُلْ لِلْبَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةً
فَهَوَى بِها مَنْ ذَا الذِى أَهْوَاكَا ؟

---

(١) لعل هذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: الآية ٢١] .

(٢) الردى : الهلاك ويقصد به هنا الموت .

بَلْ سَائِلِ الْأَعْمَى خَطَا بَيْنَ الزِّحَا
مِ بِلَا اصْطِدَام : مَنْ يَقُودُ خُطَاكَا ؟
قُلْ لِلْجَنِينِ يَعِيشُ مَعْزُولًا بِلَا
رَاعٍ وَمَرْعَى : مَا الَّذِى يَرْعَاكَا ؟
قُلْ لِلْوَلِيدِ بَكَى وَأَجْهَشَ بِالْبُكَا
ءِ لَدَى الْوِلَادَةِ : مَا الذِى أَبْكَاكَا ؟
وَإِذَا تَرَى الثُّعْبانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ
فَاسْأَلْهُ : مَنْ ذَا بِالسُّمُومِ حَشَاكَا ؟
وَأَسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ
تَحْيَا وَهَذا السُّمُّ يَمْلَأُ فَاكَا ؟
وَأَسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ
شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلَّاكَا ؟
بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ الْمُصَفَّى كَانَ بَـ
يْنَ دَمٍ وَفَرْثٍ مَا الَّذِى صَفَّاكَا ؟[1]

---

(١) مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: الآية ٦٦] .

وَإِذا رَأَيْتَ الْحَيَّ يَخْرُجُ مِنْ حَنَا
يَا مَيِّتٍ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَحْيَاكَا ؟ (١)
وإِذا تَرَى ابْنَ السُّودِ أَبْيَضَ ناصِعًا
فاسْأَلْهُ : مِنْ أَيْنَ الْبَيَاضُ أَتَاكَا ؟
وإِذا تَرَى ابْنَ الْبِيضِ أَسْوَدَ فَاحِمًا
فَاسْأَلْهُ : مَنْ ذَا بِالسَّوادِ طَلَاكَا ؟
قُلْ لِلْهَواءِ تَمَسُّهُ الأَيْدِى وَيَخْ
فَى عَنْ عُيُونِ النَّاسِ مَنْ أَخْفَاكَا
قُلْ لِلنَّباتِ يَجِفُّ بَعْدَ تَعَهُّدٍ
وَرِعَايَةٍ : مَنْ بِالْجَفافِ رَمَاكَا . . ؟
وَإِذا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِى الصَّحْراءِ يَرْ
بُو وَحْدَهُ : فَاسْأَلْهُ مَنْ أَرْبَاكَا ؟
وَإِذا رَأَيْتَ الْبَدْرَ يَسْرِى نَاشِرًا
أَنْوارَهُ : فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَا ؟

(١) مقتبس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام: الآية ٩٥] .

قُلْ لِلْمَرِيرِ مِنَ الثِّمَارِ مَنِ الذِى
بِالْمُرِّ مِنْ دُونِ الثِّمَارِ غَذَاكَا ؟
وَإِذا رَأَيْتَ النَّخْلَ مَشْقُوقَ النَّوَى
فَاسْأَلْهُ : مَنْ يَا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكَا ؟ (١)

* * *

وَإِذَا رَأَيْتَ النَّارَ شَبَّ لَهِيبُهَا
فَاسْأَلْ لَهِيبَ النَّارِ : مَنْ أَوْرَاكَا؟(٢)
وَإِذا تَرَى الْجَبَلَ الْأَشَمَّ مُنَاطِحًا
قِمَمَ السَّحابِ فَسَلْهُ : مَنْ أَرْسَاكَا ؟ (٣)
وَإِذا تَرَى صَخْرًا تَفَجَّرَ بِالْمِيَا
هِ فَسَلْهُ : مَنْ بِالْمَاءِ شَقَّ صَفَاكَا ؟(٤)

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) مقتبس من قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾[الواقعة / ٧١ ، ٧٢] ، أورى الزند : أخرج ناره .

(٣) مقتبس من قوله تعالى ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ [النَّازعَات: الآية ٣٢] .

(٤) الصفاة : صخرة ملساء والجمع صَفًا . ومعنى البيت مقتبس من قوله

وَإِذَا رَأَيْتَ النَّهْرَ بِالْعَذْبِ الزُّلَا
لِ جَرَى فَسَلْهُ : مَنِ الَّذِى أَجْرَاكَا ؟[١]

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ بِالْمِلْحِ الْأُجَا
جِ طَغَى فَسَلْهُ : مَنِ الَّذِى أَطْغَاكَا ؟[٢]

وإِذا رَأَيْتَ اللَّيْلَ يَغْشَى دَاجِيًا
فَاسْأَلْهُ : مَنْ يَا لَيْلُ حَاكَ دُجَاكَا ؟[٣]

وَإِذا رَأَيْتَ الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا
فَاسْأَلْهُ : مَنْ يَا صُبْحُ صَاغَ ضُحَاكَا ؟[٤]

هَذِى عَجَائِبُ طَالَما أَخَذَتْ بِهَا
عَيْنَاكَ وَانْفَتَحَتْ بِهَا أُذُنَاكَا !!

= تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [البَقَرة: الآية ٧٤] .

(١) مقتبس من قوله تعالى : ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٥٣] .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ [الليْل: الآية ١] .

(٤) مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [المدَّثر: الآية ٣٤] .

وَاللَّهُ فِى كُلِّ الْعَجَائِبِ مَاثِلٌ
إِنْ لَمْ تَكُنْ لِتَرَاهُ فَهْوَ يَرَاكَا

* * *

يَا أَيُّها الْإِنْسانُ مَهْلًا مَا الَّذِى
بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالِهِ أَغْرَاكَا ؟
حَاذِرْ إِذا تَغْزُو الْفَضَاءَ فَرُبَّما
ثَأَرَ الْفَضَاءُ لِنَفْسِهِ فَغَزَاكَا
اغْزُ الْفَضاءَ ولَا تَكُنْ مُسْتَعْمِرًا
أَوْ مُسْتَغِلًّا بَاغِيًا سَفَّاكَا
إِيَّاكَ أَنْ تَرْقَى بِالاسْتِعْمَارِ فِى
حَرَمِ السَّمواتِ الْعُلَا إِيَّاكَا
إِنَّ السَّمواتِ الْعُلَا حَرَمٌ طَهُو
رٌ يَحْرِقُ الْمُسْتَعْمِرَ الْأَفَّاكَا
اغْزُ الْفَضَاءَ وَدَعْ كَوَاكِبُهُ سَوا
بِحَ إِنَّ فِى تَعْوِيقِهِنَّ هَلَاكَا!

إنَّ الْكَواكِبَ سَوْفَ تَفْقِدُ رُشْدَهَا
وَتُحَطِّمُ الأَبْرَاجَ وَالْأَفْلَاكَا
وَالْجَاذِبِيَّةَ سَوْفَ يَفْسُدُ أَمْرُهَا
وَتُسِيءُ عُقْبَاهَا إِلَى عُقْبَاكَا
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ فِى هذا قِيا
مَ السَّاعَةِ الْكُبْرَى هُنَا وَهُنَاكَا
أنا لا أُثَبِّطُ مِنْ جُهُودِ الْعِلْمِ أَوْ
أنا فِى طَرِيقِكَ أَغْرِسُ الْأَشْوَاكَا
لكِنَّنِى لَكَ ناصِحٌ فَالْعِلْمُ إِنْ
أَخْطَأْتَ فِى تَسْخِيرِهِ أَفْنَاكَا
سَخِّرْ نَشاطَ الْعِلْمِ فِى حَقْلِ الرَّخا
ءِ يَصْنَعْ مِنَ الذَّهَبِ النُّضارِ ثَرَاكَا
سَخِّرْهُ يَمْلَأْ بِالسَّلامِ وبِالتَّعَا
وُنِ عَالَمًا مُتَناحِرًا سَفَّاكَا
وَادْفَعْ بِهِ شَرَ الْحَياةِ وَسُوءَهَا
وَامْسَحْ بِنِعْمَى نُورِهِ بُؤْسَاكَا

الْـعِـلْـمُ إِحْـيَـاءٌ وَإِنْـشَـاءٌ وَلَـيْـ
سَ الْعِلْمُ تَـدْمِيرًا ولا إِهْلَاكَا
فَإِذا أَرَدْتَ الْعِلْمَ مُنْحَرِفًا فَمَا
أَشْقَى الْحَياةَ بِهِ وَمَا أَشْقَاكَا

* * *

انتهت

دعاء وتضرع

«اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها أمرى، وتلم بها شعثى، وتصلح بها غائبى، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملى، وتلهمني بها رشدى، وترد بها ألفتى، وتعصمنى بها من كل سوء، اللهم اعطنى إيمانا ويقينًا ليس بعده، أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك الفوز فى العطاء والقضاء ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، اللهم إنى أنزل بك حاجتي وإن قصر رأيى وضعف عملي، افتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأيى ولم تبلغه نيتي ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك، فإنى أرغب إليك فيه وأسألكه برحمتك رب العالمين، اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين

بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد، اللهم اجعلنا هادين لا ضالين ولا مضلين، سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك، اللهم هذا الدعاء وعليك الاستجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، اللهم اجعل لى نورًا فى قبرى، ونورًا في قلبى، ونورًا من بين يدي، ونورًا من خلفى، ونورًا عن يمينى، ونورًا عن شمالى، ونورًا من فوقي، ونورا من تحتي، ونورا فى سمعى، ونورا فى بصرى، ونورا في شعري، ونورا في بشري، ونورًا فى لحمى، ونورًا في دمى، ونورًا فى عظامى، اللهم أعظم لي نورًا، وأعطنى نورًا، واجعل لى نورًا، سبحان الذى تعطف العز وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى الفضل والنعم، سبحان ذى المجد والكرم سبحان ذى الجلال» .

تم بحمد الله تعالى

الفهرس

رقم الايداع: ٢٠٠٥/٩٢٠٢
الترقيم الدولى: ٢-١٥٩-٢٩٥-٩٧٧